رعاية المعاقين في الإسلام

د. جميل عبيد عبد المحسن القراعة *

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فالمعاق لا يعدو أن يكون شخصاً يعاني نتيجة لسبب من الأسباب من عجز أو قصور جسدي أو نفسي أو عقلي، يحول بينه وبين القدرة على أداء بعض الأعمال والأنشطة البدنية أو الفكرية بالمهارة التي يؤديها بها الشخص العادي، مما يترتب عليه آثار نفسية واجتماعية في حياة المعاق. وذلك من مثل الإصابة بالعمى، أو الصمم، أو التشوه الخلقي أو الشلل، أو فقدان الأطراف، أو اضطراب حركة العضلات والأعصاب، والتخلف العقلي، ونحو ذلك من العاهات.

وتشير إحصائيات منظمة الصحة الدولية - استناداً إلى التقارير المتاحة - إلى أن ١٠٪ من سكان العالم هم من المعاقين، ويتوقع أن يبلغ العدد في نهاية هذا القرن حوالي (٦٠٠) مليون معاق، فيهم حوالي (٢٠٠) مليون طفل. كما تدل هذه الإحصائيات على أن ٤/٥ هؤلاء المعاقين هم من الدول النامية. وأن النسبة في تصاعد(١).

---

* أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

(١) انظر: دراسة حول تربية المعاقين في البلاد العربية: إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة المؤتمر الخامس للجنة الشرق الأوسط لشؤون المكفوفين: صدر عن المكتب الاقليمي للجنة الشرق الأوسط لشؤون المكفوفين: ٧٣.

إن هذا يعني - ولا شك - أن أعداداً غفيرة من المسلمين- وخاصة في البلدان الفقيرة - قد ابتلو بالإعاقة، وعانوا ولا يزالون يعانون من آثارها، دون أن ينالوا ما يحتاجون إليه من العلاج أو الغذاء، وما يلزمهم من الخدمات فتتفاقم حالات ويزدادون مع الأيام شقاء. وتخسر مجتمعاتهم - أيضاً - ما لديهم من الطاقات، والتي ربما كانت مبدعة، فما أكثر ما عرفنا نماذج من المبدعين والموهوبين والنوابغ تنتمي إلى طائفة الصم أو العميان أو غيرهم من المعاقين.

ولما كان الإسلام دين الرحمة - وهي غايته - فقد علل - سبحانه - بعثة نبيه ﷺ بها ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[1].

فلا عجب أن يجد المعاقون في الإسلام الرعاية والعناية، وتوفير سبل الحياة الكريمة، وأن يفسح لهم فرصة الاندماج والانسجام في مجتمعه، بل الإبداع والابتكار.

فالمجتمع الإسلامي جسم واحد، - ما الأفراد إلا كالأعضاء في البدن - كل خلل أو ضعف يلحق بفرد من أفراده ينعكس على البدن كله. والعجزة والمعوقون هم أعضاء ضعيفة يحس المجتمع كله بما يحسون به، ولا ينهض ولا يسعد إلا بالأخذ بأيديهم، حتى لا يتفشى الداء، ويدب الانحلال في البدن كله.

وهذا البحث يهدف إلى إبراز عناية الإسلام بالمعاقين، وإيضاح مظاهر العناية التي لقيها هؤلاء المعاقون في الحضارة الإسلامية، وما ترتب على ذلك من مردود إنساني، تجلى في ظهور أفذاذ من العلماء والأدباء والنابغين والمجاهدين لم يقعد بهم ما كانوا عليه من إعاقات وعاهات عن أن يحوزوا قصب السبق، وأن يساهموا في تشييد هذه الحضارة.

ولعل فيه بعض ما يلفت النظر نحو ما لهذه الطائفة من حقوق في الإسلام ينبغي الحرص على أدائها.

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

وقد قسمت الموضوع إلى مبحثين:

المبحث الأول: نظرة الإسلام إلى المعاق ودورها في حياته. وقد مهدت لهذا المبحث بالإلمام بنظرة الإسلام للإنسان وللحياة، ثم تحدثت عن:

١ - نظرة الإسلام إلى الإعاقة.

٢ - دور الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم وأثرهما في حياة المعاق.

٣ - التخفيف عن المعاق فيما هو مكلف به من الأحكام.

٤ - اهتمام الإسلام باجتناب أسباب الإعاقة.

المبحث الثاني: تناولت فيه عناية الحضارة الإسلامية بالمعاقين. وقد مهدت له ببيان النظرة للمعاقين قبل الإسلام. وتحدثت عن:

١ - ظهور مؤسسات العناية بالمعاقين بين المسلمين في فترة مبكرة.

٢ - دور الوقف الخيري في رعاية المعاقين.

٣ - تنويه باحثي الإسلام بنوابغ ومشاهير المعاقين.

٤ - عرضت نماذج لمشاهير المعاقين من المسلمين.

ثم ختمت البحث بإجمال أبرز النتائج التي خلصت إليها.

والله أسأل أن يلهمنا الصواب، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

المبحث الأول:
نظرة الإسلام إلى المعاق ودورها في حياته

تتوقف الحالة النفسية للمعاق - بالدرجة الأولى - على نظرة المعاق إلى نفسه من حيث هو إنسان، ونظرته إلى عاهته، وعلى نظرة المجتمع إلى المعاق من الناحيتين ذاتهما.

فما هي نظرة الإسلام إلى الإنسان عموماً: مكانته وغايته ودوره ومهمته في الحياة، ومقياس رقيه وتقدّمه، أو انحطاطه وتأخره؟ وما هي نظرة الإسلام إلى الإعاقة في ذاتها؟ وماذا من الآثار يترتب على كل ذلك في حياة المعاق حين تصطبغ شخصيته بتلك النظرة؟

الإنسان في الإسلام:

الإنسان في الإسلام مخلوق مكرم، يتجلى هذا التكريم في المكانة التي يتبوأها الإنسان في هذا الدين، حيث لا تدانيها مكانته فيما سوى الإسلام من الأديان والعقائد والتصورات.

فالكون كله مخلوق من أجل الإنسان، والإنسان مكلف بواجب الخلافة في الأرض. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ﴾[1] ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2].

ومن ثم فقد خلق الله - سبحانه - الكون على نحو محقق لفائدة الإنسان ونفعه، ومتناسب مع حاجاته وطبيعته، مما يمكنه - بالتالي - من القيام بواجب الخلافة الذي أنيط به.

قال تعالى ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ

---

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) سورة هود: ٦١.

ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾(1).

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾(2). ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ﴾(3).

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾(4).

وقد صرح القرآن الكريم بهذا التكريم والتفضيل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾(5).

بيد أن هذه المكانة التي يحتلها الإنسان في الإسلام وذلك التكريم الذي يحظى به يرتبطان أولاً بالخصائص الإنسانية العليا، ذلك الجانب الذي يتميز

---

(1) سورة البقرة: ٢٢.
(2) سورة الأنعام: ٩٦ - ٩٧.
(3) سورة يونس: ٦٧.
(4) سورة النحل: ٨٠ - ٨١.
(5) سورة الإسراء: ٧٠.

به الإنسان على غيره من الموجودات، ومن ثم تقوم أسس التفاضل في الإسلام على الإيمان والتقوى وإحساس الإنسان الروحي بعلاقته بالله – سبحانه – وما يتبع ذلك من الخلق والالتزام والعمل والإنجاز، فالناس لا يتفاضلون بأبدانهم، ولا بألوانهم، ولا بأنسابهم، وأموالهم. قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١). وقال ﷺ: «لا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا أعجميٍّ على عربيٍّ ولا لأحمر على أسودَ ولا لأسود على أحمرَ إلا بالتقوى»(٢). وقال: «إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكُم»(٣).

وإن مقياس صلاح النفس الإنسانية أو فسادها لا يرجع إلى مظهرها وضخامتها، وإنما يرجع إلى دخيلتها. فالقلب الصالح يعني إنساناً صالحاً، والقلب الفاسد يعني إنسانا فاسداً، قال – ﷺ – إنّ في الجسدِ مضغة إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ، وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كلهُ، ألا وهي القلب»(٤).

وإن في اعتبار الإسلام لهذه الأمور مقياساً للتفاضل اعتبارا لأرقى خصائص الإنسان، فإن الروح والفكر والالتزام والوعي هي الخصائص المميزة للكائن البشري، أما ما سواها من مؤهلات النسب واللون والمظهر والمهنة ونحوها فلا يعدو اعتبارها معياراً للتفاضل أن يكون اتخاذا لأمور خارجية، يبقى – معها – الإنسان – أو بدونها – إنساناً.

وعليه فالرقي الحقيقي للإنسان يتثمل – في الإسلام – في الرقي الداخلي، في طهارة النفس وصلاح القلب.

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.
(٢) رواه أحمد ٥/٤١١.
(٣) رواه مسلم في البر والصلة ٤: ١٩٨٧ وابن ماجه في الزهد ٢:٣٨٨ وأحمد ٢: ٥٣٩,٢٨٥.
(٤) رواه البخاري في الإيمان ١: ١٢٦ ومسلم في المساقاة ٣: ١٢١٩.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[١].

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[٢].

وقال - ﷺ: «التقوى ها هنا» وأشار إلى صدره[٣].

وبهذا فإن الإسلام حين يجعل للإنسان هذه المكانة ويجعل مناط تكريمه هذا الجانب الإنساني فإنه يضع المريض والأعمى والأصم وسواهم من أصحاب العاهات والمعاقين مع غيرهم من الأصحاء على بداية واحدة وفي مستوى واحد، لا تنتقص إصابته من مكانته، ولا تقلل من شأنه، ولا تغض من قدره، ما دام لا يستمد هذه المكانة ولا يأخذ هذا القدر من ضخامة جسمه، ولا من قوة عضلاته، فالعمى الحقيقي: هو عمى القلب، والصم الحقيقي: هو أغلاق القلب عن أن ينتفع بما يسمع من دلائل الحق وبينات الهدى، والمرض الحقيقي: هو مرض القلب. كما أن الصلاح الحقيقي يتمثل في صلاح القلب، وليس في ضخامة الجسم. ففي الحديث «إنه يأتي الرجلُ الطويلُ السمينُ يومَ القيامة لا يزنُ عندَ جناح بعوضه» وقال: إقرأوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[٤].

الحياة في نظر الإسلام:

الحياة في التصور الاعتقادي الإسلامي ليست إلا ابتلاء واختباراً للناس، ليظهر «أيهم أحسن عملاً» قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ

---

(١) سورة الحج: ٤٦.

(٢) سورة الشعراء: ٨٨- ٨٩.

(٣) رواه الترمذي في البر ٣: ٢١٨ وقال: حسن غريب. وأحمد ٣:١٣٥، ٤٩١، ٤: ٦٦، ٥٦٩: ٢٤.

(٤) سورة الكهف: ١٠٥، والحديث رواه البخاري في التفسير ٨: ٤٢٧. ومسلم في صفات المنافقين ٤: ٢١٤٧.

(٥) سورة الملك: ٢.

أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾[2].

فالحياة الدنيا ليست غاية في ذاتها، وأنما هي وسيلة إلى الفوز برضوان الله والسعادة في الأخرة. فلا يجوز أن تكون أكبر هَمِّ المؤمن ومبلغ علمه. فقد كان - ﷺ - يدعو الله بقوله «**ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا**»[3].

إن في اعتبار هذه الحياة مجرد ابتلاء: ما يخفف عن المعاق، إذ ليس ما أصابه إلا لوناً من هذا الإبتلاء الذي كانت الحياة كلها من أجله. والصبر عليه نوع من العبادة التي خُلق من أجلها، وفي هذا التصور ما يمنح المعاق الإحساس بالطمأنينة والثقة والرضى بقدر الله، فهو خير له.

والمأساة الحقيقة لا تتمثل - أبداً - في مواجهة هذا الاختبار - بكل ما فيه من النصب والجهد - بقدر ما تتمثل في الإخفاق في هذا الاختبار. والسعادة الحقيقية إنما تتم بالفوز فيه، وحين يتأتى هذا الفوز فلن يكن ما لقي من الألم والعنت في حياته بالذي يذكر إلى جانب هذا الفوز.

ثم إن في كون موضوع هذا الابتلاء «أيكم أحسن عملاً» ما يدفع المؤمن - حتى وإن كان معاقاً - إلى العمل ويبعث العزيمة ويثير الهمة، وذلك بحسب الوسع والطاقة.

كما أن في علمنا بأن هذا الاختبار لا يتاح للإنسان إلا مرة واحدة - فالحياة فرصة لا تتكرر -: ما يعرفنا - أسوياء كنا أم معاقين - بأهمية هذه الحياة وقيمتها. فهي الفرصة الوحيدة التي يستطيع الإنسان عن طريقها

---

(١) سورة هود: ٧.

(٢) سورة الكهف: ٧.

(٣) رواه الترمذي في الدعوات. وقال: حسن غريب ٤: ١٩.

إثبات جدارته بالفوز الحقيقي. فيغريه - بالتالي - بالقيام بدوره فيها، والحرص على استثمار كل جزء منها على أفضل وجه، ويشعره بخطورة إهدار وقته فيما لا يفيد. إن فائدة النظرة إلى الإنسان وإلى الحياة على هذا النحو لا تنبع - فقط - من نظرة المعاق لذاته على هذه الصورة، ولكن من نظرة الآخرين - أيضاً - إلى أنفسهم، وإلى المعاق بهذا المنظور، مما يجعله في نظرهم في مصافهم من الناحية الإنسانية، وإن كان يمكن له أن يتفوق عليهم لاعتبارات أخرى.

نظرة الإسلام إلى الإعاقة

مع ما أشرنا إليه - من كون الحياة في ذاتها وبكل ما فيها - ابتلاء واختباراً، فإن النصوص الشرعية تخص المصائب التي يتعرض لها المؤمن في نفسه أو أهله بالذكر والتنويه، وتعلي من فضيلة **الصبر عليها، والرضى بقدر الله فيها**، وما يترتب عليها من تكفير الذنوب والخطايا والفوز برضى الله وثوابه. ومن هذه النصوص قول الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾[1]. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[2].

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[3].

قال الإمام أحمد - رحمه الله - «الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً»[4].

ومن هذه النصوص: قول الرسول الله - ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير

---

(١) سورة البقرة: ١٥٥.
(٢) سورة النحل: ٩٦.
(٣) سورة الزمر: ١٠.
(٤) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ٢/١٥٢.

عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافى به يوم القيامة»(١).

«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله - تعالى - إذا أحبَ قوماً ابتلاهُم، فَمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط»(٢).

وقال: «يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي حسب دينه، وما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة»(٣).

وقال: «ما يُصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همّ ولا حزن ولا أذى ولا غَمّ - حتى الشوكة يشاكها - إلا كفر الله بها من خطاياه»(٤).

وقال: «إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبته فصبر عوضته منهما الجنة»(٥) يريد عينيه.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس - رضي الله عنهما-: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداءُ، أتت النبي - ﷺ - فقالت: إني أُصرع، وإني أتكشف، فادع الله تعالى - لي. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله - تعالى - أن يعافيك). فقالت، أصبرُ. فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف. فدعا لها»(٦).

كما يلفت الإسلام نظر صاحب المصيبة إلى أن يركز نظره وانتباهه على ما هو موجود، وأن لا يحصر اهتمامه فيما هو مفقود وذاهب بالمصيبة، وذلك عن طريق:

---

(١) رواه الترمذي في الزهد ٧: ١٢٣.
(٢) الترمذي في الزهد: ١٢٣:٧ - ١٢٤، وابن ماجه في الفتن ٢: ١٣٣٨ ونحوه عند أحمد ٤: ٤٢٧، ٤٢٩.
(٣) ابن ماجه في الفتن ١٣٣٤:٢ ونحو عند أحمد ١: ١٧٣ - ١٧٤.
(٤) رواه البخاري في المرض ١٠: ١٠٣ ومسلم في البر والصلة ٤: ١٩٩٢ - ١٩٩٣.
(٥) البخاري في المرض. ١٠: ١١٦ والترمذي في الزهد ٧: ١٢٦. وأحمد ٣: ١٤٤.
(٦) البخاري في المرض ١: ١١٤. ومسلم في البر والصلة ٤: ١٩٩٤.

أولاً: أن يرشده إلى أن ما وقع إنما كان قدر الله – سبحانه – الذي لا بد أن يقع، فليحتسبه عند الله، وليحرص على ما ينفعه، قال – عليه الصلاة والسلام: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل»(١).

ثانياً: عن طريق تذكيره بكثرة وعظمة نعم الله – تعالى – عليه، فإن ما أعطاه سبحانه أعظم مما أخذ منه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾(٢).

والإنسان حين يحاول أن يعد ويحصي نعم الله عليه يعجز عن عدها وحصرها، ويظهر له أن ما هو فيه من البلاء لا يمثل شيئاً يذكر، إلى جانب فضل الله عليه، ومبلغ إحسانه إليه، ويجد في ما لديه من الطاقات والإمكانات والاستعدادات ما يعوضه عما فاته. كما يشعر الإسلام المعاق وكل مصاب بلطف الله ورحمته مع قدره، فإن الإصابة أو المصيبة كان يمكن لها أن تكون أعظم مما هي عليه.

وبهذا فإن إيمان المسلم بحسن العاقبة وملاحظته لكثرة نعم الله واستشعاره بلطفه – سبحانه – مع البلاء وانتظاره الفرج ونظرته لنفسه ولواقعه على النحو الذي يتوخاه منه الإسلام – والذي أشرنا إليه – يخلصه من حالة الإنطواء الناجمة عن الشعور بالنقص، ومن فقدان الثقة بالنفس، والخجل الاجتماعي، والإحساس بالوحدة، وما يتبع ذلك من العزلة والانسحاب من المجتمع، مما يورث المزيد من الإحباط وخيبة الأمل، والإحساس باليأس.

ثم يضفي على الإنسان – وخاصة المعاق – التوازن النفسي، والاستقرار الداخلي، ويعينه على مواجهة مشكلته، ويذكره بطاقاته، ويحفزه

---

(١) مسلم في القدر ٤: ٢٠٥٢. ابن ماجه في المقدّمة ١: ٣١ ونحوه عند أحمد ٢: ٣٦٦ – ٣٦٧.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٤.

على تجاوز إصابته، والانطلاق بالسعي والكدح والعمل في الحياة، وأداء دوره فيها، بحسب استطاعته.

إن الإعاقة بلا شك تسبب نوعاً من المشقة للمصاب، تعظم هذه المشقة بحسب حجم الإصابة ونوعها، وما ينجم عنها من أثر مادي أو بدني أو نفسي، ربما مزق نفس المعاق، ودمر شخصيته، ولهذا يبدأ علاج الإسلام له من داخل النفس. بأن يعمر قلبه بالإيمان وينير له الطريق، ويوضح له الغاية. وبهذا يخفف عن المعاق من المشقة بالقدر الذي يتمثل فيه المعاق معاني هذه العقيدة، فكلما ازداد إيماناً بالله وتسليما لقدره كلما هانت عليه المصيبة، بل ربما تحولت إلى نعمة في نظره، ومتعة في حياته.

غير أن الإسلام يرغب من المسلم إيثار العافية والسلامة، والبُعد عن أسباب الخطر والضرر، ما لم يكن في التعرّض للخطر جهاد في سبيل الله، أو دفاع عن حق ينتهك، أو التمكين لغرض حث الشرع على التضحية من أجله.

عن أنس رضي الله عنه: أنّ رجلاً جاء إلى النبي - ﷺ - فقال: يا رسول الله، أي الدعاء أفضل؟ قال: «سل ربك العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة»(١).

دور الأسرة المسلمة

برغم ما أسلفنا من أن الإسلام يستهدف بالعلاج أولاً النفس الإنسانية فيتوجه إلى دخيلتها، فإنه لا يغفل ما سوى ذلك من العوامل والظروف، وعلى رأس ذلك الأسرة، حيث ينشأ الفرد - صحيحاً كان أم معاقاً - بل إنها أفضل من يمكن أن يقوم بالتوجيه المطلوب والتأثير السليم على نفوس الأطفال عامة والمعاقين منهم خاصة.

---

(١) الترمذي في الدعوات: ٩: ١٧٧.

إن الإسلام يسلك أولاً سبيل الوقاية من الإعاقة باتخاذ الوسائل الدافعة ما أمكن لأسباب وقوعها، ثم التخفيف منها ومعالجتها حين تقع. وتبدأ هذه الوسائل المتعلقة بالأولاد قبل وجودهم، وذلك باتخاذ الأسباب التي تمهد الطريق للمحافظة عليهم وتنشئتهم النشأة الصالحة. ولهذا دعا الإسلام أن يقوم معيار اختيار شريك الحياة - للرجل والمرأة على السواء - على الدين والخُلق والأمانة قبل أي معيار آخر.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ﴾(١).

وقال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها. فاظفر بذاتِ الدين تربتْ يداك»(٢).

وقال «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكْن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ»(٣).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: «إن لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق»(٤). وإن من هذا الحق: حسن اختيار أمه، لما لها من تأثير كبير عليه.

ورغب الإسلام في الزواج المبكر، وفي ذلك ما يقلل من احتمالات إنجاب أطفال معاقين. فإنه عليه السلام دعا الشباب إلى المسارعة إلى الزواج ما توافرت الاستطاعة، فقال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة

---

(١) سورة البقرة: ٢٢١.

(٢) البخاري في النكاح ٩: ١٣٢. مسلم في الرضاع ٢: ١٠٨٦. أبو داود ٢: ٥٣٩ تحقيق دعاس. النسائي ٦: ٦٨ كلاهما في النكاح. الترمذي في النكاح: ٢: ٢٧٥ من غير حسبها.

(٣) رواه الترمذي في النكاح وقال: حديث حسن صحيح ٤: ٤٣.

(٤) الأدب المفرد للبخاري: ٤٩.

فليتزوج ، فإنه أحصن للفرج، وأغضُ للبصر[1]»، وحض عليه السلام على زواج الابكار. وهن في العادة أصغر سناً، فقال لمن تزوج ثيباً: «هلاّ بكراً، تُضاحِكها وتُضاحك وتلاعبها وتلاعبك»[2]. كما حث الإسلام على عدم المغالاة في المهور وتكاليف الزواج، وكل ذلك يقلل من سن الزواج، ويشجع على شيوع ظاهرة الزواج المبكر في المجتمع.

وقد دلّت بعض البحوث والدراسات على أن نسبة الأطفال المشوهين والمعتوهين تزداد تبعاً لزيادة عمر الأم حين الأولاد، وخاصة بعد الخمسة والأربعين عاما[3].

وحينما ينشيء الإسلام الأسرة الصالحة التي تقوم على قطبين صالحين فإنه يكون قد هيأ السبيل وعبّد الطريق واتخذ الأسباب لرعاية الأطفال وتربيتهم على الصورة والطريقة الصحيحتين، ذلك أن الإسلام يعتبر أن العناية بالأولاد ورعايتهم واجب وتكليف، فهي أمانة ومسؤولية للوالدين. كما هي حق وتشريف لهما، يلبي حاجة فطرية في نفوسهما. ولهذا يمثل التقصير في تربيتهم وتعريضهم للضياع إهداراً للمسؤولية، وإضاعة للأمانة، ومجلبة لعظيم الأثم. قال – ﷺ – «كلكم راع ومسؤول عن رعيته: فالأمير الذي على الناس فهو راع عليهم، وهو مسؤول عنهم. والرجل راع في أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية في بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبدُ راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلم مسؤول عن رعيته»[4]. وقال: «كفى بالمرء إثماً أن يُضيع من يقوت»[5].

---

(١) رواه البخاري في الصوم ٤: ١١٩ وفي النكاح ٩: ١٠٦، ٩: ١١٢ ومسلم في النكاح ٢: ١٠١٩ والترمذي في النكاح ٤: ٣٩.

(٢) البخاري في النفقات ٩: ٥١٣ وفي الدعوات ١١: ١٩٠. ومسلم في الرضاع ٢: ١٠٩.

(٣) انظر مسؤولية الأب المسلم لعدنان حسن بالحارث: ٣٨.

(٤) البخاري في الجمعة ٢: ٣٨٠ والاستقراض: والعتق ٥: ١٧٨ والوصايا ٥: ٣٧٧ ومسلم في الإمارة ٣: ١٤٥٩.

(٥) أبو داود في الزكاة ٢: ١٧٨ وأحمد ٢: ١٦٠ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١: ٤١٥. وهو في مسلم في كتاب الزكاة بلفظ «كَفَى بالمرءِ إثماً أن يحبسَ عمن يملكُ قُوتَه» ٢: ٦٩٢.

كما أن الأبحاث والدراسات العلمية قد دلت أيضاً على أن في الرضاعة الطبيعية من ثدي الأم - وهو ما يحث الإسلام ويشجع عليه - ما يقي الطفل من الإصابة بفقد البصر الناتج عن أسباب غذائية، وأن في إعطاء الطفل بعد الولادة مباشرة القطرات الأولى من لبن الأم ما يكسبه المناعة الطبيعية، فيقلل بذلك من فرص إصابة الأطفال بالإعاقة(١).

غير أن دور الأسرة في رعاية الطفل عموماً لا يقف عند حد توفير الاحتياجات المادية من الأكل والملبس والعلاج ونفقات التعليم ونحوها، بل يشمل كل ما يكفل رعايته وتربيته بصورة صحيحة، وتنشئته على نحو يحقق له التوازن والاستقرار، ويساعد على تفتح مواهبه واكتشاف ميوله واستغلال طاقاته، إن حاجة الطفل - وخاصة حين يكون معاقاً - إلى الحب والتفهم والملاطفة والمساندة لا تقل عن حاجته إلى الطعام واللباس، وإن أثر هذه الأمور على نفسه ودورها في بناء شخصيته وإحساسه بالسعادة يفوق دور النواحي المادية. ولا أقدر من الأسرة والوالدين على وجه الخصوص على إشاعة هذه المعاني في النفوس، وإشعار الطفل بطعم الود والعطف وملء نفسه بالثقة والأمل. وزرع الطموح في داخله، وذلك لما يتمتعان به من غريزة الأبوة التي تفيض على الطفل هذه الأحاسيس بصورة عفوية لا تكلف فيها، فما بالك إذا كان هذا الطفل معاقاً أو مريضاً!! كما أن جو الأسرة واطمئنان الطفل وارتياحه لوالديه خصوصاً ولأفراد أسرته عموماً يوفر البيئة المناسبة والتي تساعد الأسرة على القيام بهذه المهمة.

وكان رسول الله - ﷺ - وهو القدوة في ذلك - يمازح الأطفال ويداعبهم، ويدخل على نفوسهم السرور، ويشجعهم على اللهو البريء والمرح والفرح، بل إن غالب ما عرف عنه - ﷺ - من المزاح إنما كان مع الأطفال والضعفاء.

عن الصحابي الجليل محمود بن الربيع - رضي الله عنه - قال: «عَقَلْتُ

---

(١) انظر: الإعاقة ورعاية المعاقين في أقطار الخليج: ٦٣.

من النبي – ﷺ– مجة مجها في وجهي – وأنا ابنُ خمسِ سنين – من دلو من بئر كانت في دارنا»[(١)].

قال ابن حجر – رحمه الله – معقباً على هذا الحديث: (إما مداعبة، أو ليبارك عليه، كما كان ذلك شأنه مع أولاد الصحابة)[(٢)].

وعن عبدالله بن الحرث – رضي الله عنه – قال: «كان رسول الله – ﷺ – يصفُّ عبدالله وعبيد الله وكثيرا من بني العباس – رضي الله عنهم – ثم يقول: «من سبق إلي فله كذا وكذا» فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلتزمهم»[(٣)].

وقال أنس – رضي الله عنه: «كان رسول الله – ﷺ – أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال: «أحسبه كان فطيماً» قال: فكان إذا جاء رسول الله – ﷺ – فرآه قال: «أبا عمير، ماذا فعل النغير؟» قال «فكان يلعب به»[(٤)].

إن اتباع هذا النهج النبوي في التعامل مع الأطفال والضعفاء والمعاقين يشجعهم على التجاوب مع الإرشاد والتوجيه والاستجابة للنصائح وتقبل التعليم، ويجعل العلاج ممتعاً ومسلياً، فتزيد بذلك احتمالات الشفاء والعافية أو التحسّن وتفتح المواهب، أو يحول على الأقل دون تفاقم الحالة، ويخفف الأضرار إلى الدرجة الممكنة.

ولما كانت الأسرة هي أولى وأقدر من يقوم بهذا الدور فإن من الخطأ أن تتخلى الأسرة عن هذه المهمة لأي جهة أخرى كلما كان استيعاب الحالة ضمن نطاق الأسرة ممكناً، ولو مع إرشاد الأسرة وتوجيهها من أشخاص أو

---

(١) البخاري في العلم: ١: ١٧٢ ونحوه في التهجد والرقاق ١١: ٢٤١ والآذان ٢: ٣٢٣ وابن ماجة في الطهارة ١: ٢١٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١: ١٧٢.

(٣) رواه أحمد ١: ٢١٤.

(٤) البخاري في الأدب ١: ٥٢٨ – ٥٢٩. ومسلم في الآداب ٣: ١٦٩٢.

جهات تملك الدربة والخبرة والمعرفة. حيث أن للسنوات الأولى من حياة الطفل المعاق أهمية بالغة في وضع اللبنات الأولى لتكوين شخصيته واشباع حاجاته للشعور بالحنان والإطمئنان.

(وقد دلت الدراسات والملاحظات السريرية حول نمو وتطور الأطفال المصابين بالمرض المنغولي بأنه يمكن تجنب الآثار الضارة من الإقامة الطويلة في مأوى المعاقين. وأن الذين أقاموا عند ذويهم يمتازون بتقدّمهم واتزانهم النفسي والاجتماعي عند مقارنتهم بأقرانهم في المصح المختص)(١).

إن للبيت الهانىء الذي تقوم العلاقات فيه - كما يريدها الإسلام - على الحب والاحترام والتوافق لا على الكره والاحتقار والتنافر ويمتلىء جوه بالتوجيه المشبع بالعطف والحنان - دوراً كبيراً في منح الطفل المعاق الفرقة للنمو السليم بجميع جوانبه: الجسمية والعقلية والروحية، بدون كبت ولا تشنج، ولا تضخم ولا ضمور.

أما البيت الذي تتسم العلاقة فيه بالخلاف والمشاكسة والتمرد. وتقوم المعاملة على الغلظة والقسوة وتتسم بروح الشك والارتياب وانعدام الثقة، فهذا البيت - مهما توافر له من وسائل الرخاء المادي - هو بيت ينقصه الدفء المطلوب لنشأة النفس المتوازنة، ولا ينتظر لمن ينشأ فيه إلا المزيد من اعتلال التفكير واضطراب النظرة، ولا يتوقع للمصاب بالإعاقة فيه إلا تفاقم الإصابة وتحطيم المعنويات(٢).

إن أثر السنوات الأولى من عمر الطفل لا ينتهي بانتهاء هذه السنوات. يقول جان شازال في كتابه «الطفولة الجانحة»: (كل الإحصاءات التي أجريت تتفق على ملاحظة أن سبعين إلى ثمانين بالمائة من الأحداث القاصرين المنحرفين ينحدرون من عائلات مفككة)(٣).

---

(١) الإعاقة ورعاية المعاقين في أقطار الخليج العربية: ٦١.
(٢) انظر: حقوق الطفل خلال الأعوام الأولى لزكية عزيز: ١٦ - ١٨.
(٣) الطفولة الجانحة: ٣٨ - ٣٩.

إن زمر الأحداث وعصابات الشباب المنحرفة تمثل بالنسبة لأفرادها نوعاً من التعويض خارج الأسرة عن قصور الوسط العائلي وقسوة البؤس. وكثيراً ما تقوم هذه العصابات تحت هذا التأثير بجرائم مختلفة، وتشتبك مع بعضها أو مع المارة بقضبان الحديد والزجاجات الفارغة والسكاكين وتمارس من ألوان السطو والبطش ما يترتب عليه الكثير من الإصابات والأضرار التي يؤدي بعضها إلى العجز أو الإعاقة.

ويحذر الإسلام من التفريق في المعاملة بين الأولاد نظراً لما له من أثر سيء على نقوسهم، وخاصة في فترة الطفولة، وتغدو هذه الآثار أكثر خطورة حين تمارس هذه التفرقة ضد الطفل المعاق، بسبب حساسية شعوره واستعداده المرهف للتأثر والتألم والشعور بالإحباط وفقدان الثقة بالنفس، فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما -: أن رسول الله - ﷺ - قال له عندما أراد أن يختص بعض أولاده بهبة دون غيره منهم، ورغب أن يشهد الرسول على ذلك: «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟» فقال: لا. فقال رسول الله - ﷺ - «فأرجعه»[(١)].

وفي رواية أنه عليه السلام قال: «اتقوا الله، واعدلوا في أولادكم»[(٢)] وفي أخرى قال: «لا تُشهدني على جور»[(٣)].

بيد أن ما أسلفنا عن دور الأسرة المسلمة ومسؤوليتها في توفير التوازن النفسي وإشاعة روح البهجة والأمل والسكينة في نفس الطفل - فضلا عن توفير الاحتياجات المادية - فإن ذلك لا يعني المبالغة في تدليله وتعويده على أن ينال كل ما يطلب، أو أن يكون اتكالياً يعتمد على غيره في كل ما يحتاج إليه، فإن مثل هذا يضر بالطفل - صحيحاً كان أم معاقاً -،

---

(١) البخاري في الهبة ٥: ٢١١. مسلم في الهبات ٣: ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٤.
(٢) البخاري في الهبة ٥: ٢١١. مسلم في الهبات ٣: ١٢٤٢.
(٣) مسلم في الهبات ٣: ١٢٤٣.

حيث لا يعود قادراً على فهم وتمييز واجباته من حقوقه، ولا يتقبل التجاوب مع عوامل الضبط والالتزام في المدرسة، أو مكان العمل أو المجتمع. حيث لم ترب في نفسه مثل هذه الاستعدادات، ويقابل الحياة - وخاصة إذا كان معاقاً - من غير أن يدرب ويمرن على استخدام واستثمار المتاح من قدراته الجسمية والنفسية، وفي ذلك إضرار به، وإضعاف لقدرته على مواجهة المصاعب التي تواجهه في حياته، مما يهدد بإخفاقه وما يتبع ذلك من الآثار النفسية والمادية.

كما أن الأسرة الصالحة - بما هي عليه من الوعي والإحساس بالمسؤولية - تقلل من فرص إصابة الأطفال بالإعاقة - من مثل الإصابات الناجمة عن حوادث المنازل: كالحرق بالسوائل الحارة، أو الصعق الكهربائي، أو السقوط داخل المنزل، أو التناول الخاطىء للأدوية من قبل الصغار، أو الاختناق بالبلع، أو بالأكياس البلاستيكية والحبال ونحوها، أو استعمال الآلات الحادة.

وإذا علمنا أن نسبة الإعاقات الناجمة عن حوادث المنازل - كما دلت عليها بعض الدراسات - تعادل(٦,٥٪) من مجمل حالات الإعاقة، ومعظمها من الأطفال(١). وأن حوادث المنازل تتسبب في إصابة حوالي أربعة ملايين طفل في العام، وكثير منها تؤدي إلى الوفاة، وأن (٩١٪) من الإصابات في الأطفال، وما يزيد عن نصف وفيات الحوادث بين الأطفال هم دون الخمس سنوات - كما دلت عليه دراسات أخرى(٢) - إذا علمنا كل ذلك أدركنا أهمية الرعاية البيتية الصحيحة - والتي أساسها صلاح الأسرة وإحساسها بالمسؤولية - في تجفيف منابع الإعاقة.

---

(١) العوامل المسببة للإعاقة: عثمان لبيب. ضمن: الاعاقة ورعاية المعاقين في أقطار الخليج: ٢٧.

(٢) الوقاية من الأخطار البيئية، للدكتور عبدالعزيز الدخيل، ضمن الوقاية من الأخطار البيئية. اقتراحات وتوصيات: ٢.

دور المجتمع المسلم وأثره على المعاق

تقوم العلاقات الاجتماعية في الإسلام على قاعدة أن المسلمين جسد واحد، كما قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(١). فالأفراد في هذا المجتمع يشعر بعضهم بآلام بعض، ويتجاوب بعضهم مع أحاسيس بعض، ويحب أحدهم من الخير لإخوانه ما يحبه لنفسه، كما يكره لهم من الشر ما يكره لنفسه.

ذلك أن المجتمع الإسلامي هو الثمرة المتوخاة لعقيدة الإسلام وفكره ومبادئه، فينبغي أن يمثل الترجمة العملية والواقع المشهود لتعاليم الإسلام وأحكامه، وكيف لا تسود الرحمة هذا المجتمع وهي غاية البعثة النبوية؟!! كما قال الله سبحانه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾(٢).

ولهذا يتسم نمط التعامل في الحياة الإسلامية بروح الأخوة والتعاون والتحاب والمواساة والرفق والحلم والسماحة والصبر والتواضع وتحمل الأذى وفعل الخير ومساعدة الآخرين والبر بهم، بل التضحية والإيثار، مع طيب الكلام، وطلاقة الوجه، والتبسم عند اللقاء، ونحوها من محاسن الأخلاق وفضائل السلوك، قال رسول الله - ﷺ -: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»(٣). وقال أيضاً: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربةً من كربِ يومِ القيامةِ، ومن يَسَّرَ علَى معسرٍ يسرَ اللهُ عليهِ في الدنيَا والآخرةِ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(٤).

---

(١) رواه البخاري في الأدب ١٠: ٤٣٨ ومسلم في البر والصلة ٤: ١٩٩٩ - ٢٠٠٠.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة ٤: ١٩٩٦.

(٤) رواه مسلم في الذكر والدعاء ٤: ٢٠٧٤.

فكان من طريقة بعض السلف إن كان له حاجة يحرص على قضائها جعل سعيه في حاجات إخوانه، حتى يكون الله سبحانه في حاجته فييسرها.

والمصابون والعجزة والمرضى والمعاقون وغيرهم من ذوي الحاجات أعضاء في هذا المجتمع، لا يسعد المجتمع ولا يتعافى ما لم يحرص على سعادتهم وراحتهم، وهم أولى الناس بالمساعدة وتقديم العون، ولهذا حث الإسلام على مراعاتهم والتيسير عليهم وعلى كل ضعيف أو محتاج، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» وأحسبه قال: «وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر»[(١)]، وقال أيضاً: «اللهم إني أحرِّج[(٢)] حقَ الضعيفين: اليتيم والمرأة»[(٣)].

ويعتبر الإسلام أن الإحسان إلى المعاقين ونحوهم من الضعفاء والمحتاجين والقيام بحاجاتهم ليس مجرد تطوع وتبرع من القادرين من أفراد المجتمع، بل هو واجب عليهم، يأثمون بتركه، وما يأخذه هؤلاء المحتاجون هو حق لهم، ومن الواجب على المجتمع - ممثلاً في الدولة - أن يجبي هذا الحق من القادرين ويقدّمه للمحتاجين، فإن لم تقم الدولة بجبايته وجب على أصحاب المال إيصال هذه الحقوق إلى أصحابها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝٢٥﴾[(٤)]. وقال ﷺ: «أيما أهل عَرْصَةٍ أصبح فيهم أمروء جائعاً برئت منهم ذمة الله تعالى»[(٥)].

إن هذه النظرة إلى المعاق تساهم في تقبله في المجتمع عموماً، وفي المؤسسات العامة في المجتمع كالمدارس والمعاهد ودور العلم ومراكز التأهيل والتدريب بصورة خاصة، وهو ما يوصي كثير من المختصين

---

(١) البخاري في الأدب ١٠: ٤٣٧ مسلم في الزهد ٤: ٢٢٨٦ - ٢٢٨٧.

(٢) أي ألحق الحرج وهو الإثم.

(٣) أحمد ٢: ٤٣٩ وقال النووي في رياض الصالحين: ١٣٩: حديث حسن.

(٤) سورة المعارج: ٢٤ - ٢٥.

(٥) رواه أحمد ٢: ٣٣.

والخبراء باتباعه في إعدادهم وتعليمهم، ويعتبرون المؤسسات العامة أفضل لهم من تلك الخاصة بهم كلما كانت حالة المعاق تسمح بالاندماج والاستفادة من المؤسسات العامة والتأقلم معها.

كما يعتبر الإسلام أن مسؤولية رعاية المعاقين والعمل على توفير مستلزماتهم وتهيئة أسباب الحياة اللائقة بهم لا تقع على عاتق أسرهم وأولياء أمورهم فحسب، ولكنها من فروض الكفاية ما لم يقم بها من يكفي من الأقارب أو غيرهم شمل إثم التقصير الجميع.

ولهذا شرع الإسلام وسائل متنوعة ومتدرجة تكفل لكل فرد في المجتمع حاجته وكفايته، وحتى لو كان عاجزاً أو معاقاً، ونقل مسؤولية توفير هذ الحاجات من دائرة إلى دائرة أوسع منها في حال عدم قدرة أو كفاية الدائرة السابقة، وهكذا حتى يشمل ذلك المسلمين جميعا[١]. وتتمثل هذه الوسائل بالآتي:

أولا: الواجب على الإنسان أن يبذل جهده حسب استطاعته لتوفير حاجاته الضرورية، ومن مسؤولية الدولة توفير سبل العمل للقادرين.

ثانياً: إذا لم يستطع الفرد توفير ذلك لمرض أو عجز أو شيخوخة أو كان صغير وجب على أفراد أسرته الإنفاق عليه، وذلك حسب قواعد مقررة في الإسلام ومفصلة في كتب الفقه.

ثالثاً: إذا كان أقاربه عاجزين عن الإنفاق عليه أو لم يكن له أقارب وجب إعطاؤه من الزكاة ما يفي بحاجاته.

رابعاً: إذا لم تكف الزكاة لتحقيق حاجات العجزة والمعوزين والمحتاجين فإنهم يعطون من بيت المال الذي يمثل الخزينة العامة للدولة، حيث لبيت المال موارد أخرى غير الزكاة.

خامساً: إذا لم يكن في خزينة الدولة ما يكفي لذلك وجب على أغنياء

---

(١) انظر أصول الدعوة د. عبدالكريم زيدان: ٢٤٥ - ٢٤٧.

المسلمين أن يبذلوا من أموالهم غير الزكاة ما يكفي لتوفير الضرورات، وتلزمهم الدولة بذلك.

قال الإمام ابن حزم: (وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تف الزكاة بهم)[١].

في الحديث عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: «بينما نحن في سفر مع النبي - ﷺ - إذ جاء رجل على راحلة له، فجعلَ بصرفُ بصرهُ يميناً وشمالاً، فقالَ رسول الله - ﷺ - «من كان معه فضل ظهر فليعد بِهِ على من لا ظهر له، ومن كان له فضلُ زادٍ - فليعد به على من لا زاد له، فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل»[٢].

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: «قال رسول الله - ﷺ: «إن الأشعريين إذا إذا أرملوا[٣] في الغز أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه في إناء واحد بالسوية، فهم مني، وأنا منهم»[٤].

قال الإمام القرطبي: (واتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها)[٥].

ولا يقتصر موقف الإسلام من المعاق وغيره من العجزة والضعفاء على مجرد إثارة شعور الشفقة والرحمة نحوهم، ولكنه يتجاوز ذلك إلى اتخاذ السبل المؤدية إلى احترامهم وتكريمهم وإشعارهم بالثقة. فنظرة الإسلام للإنسان عامة: دوره ومهمته وغاية وجوده وتكريمه، ومعيار تقدّمه ورفعته أو تأخره وانحطاطه، ثم نظرته إلى المرض والإعاقة ونحوها من صنوف

---

(١) المحلى ٦: ١٥٦.

(٢) رواه مسلم في اللقطة ٣: ١٣٥٤.

(٣) أرملوا: فرغ زادهم أو قارب الفراغ.

(٤) رواه البخاري في الشركة: ١٢٨ - ١٢٩، مسلم في فضائل الصحابة ٤: ١٩٤٥.

(٥) أحكام القرآن: ٢: ٢٤٢.

الابتلاء - وهو ما ألمحنا إليه سابقاً - كل ذلك يحمل في مضامينه تكريم إنسانية الإنسان، صحيحاً كان أم معاقاً.

ثم يذكِّر الإسلام الإنسان بنعمة الله سبحانه عليه في العافية، ويحذره أن يخدش شعور المصاب، أو أن يتشفى بحاله، فإن الله الذي أصابه وعافاك قادر على أن يعافيه ويصيبك. قال - ﷺ - «لا تُظْهرْ الشماتةَ بأخيكَ، فيَرحمه اللهُ ويبتليك»(١).

كما حذر الإسلام من أي لون من ألوان الهمز أو اللمز أو التنابز بالألقاب أو السخرية من الآخرين والانتقاص منهم أو التكبر والتعالي عليهم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾(٢).

وقال - ﷺ -: «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»(٣) والنصوص في التحذير من هذه الآفات وأمثالها كثيرة.

ولا شك أن ممارسة مثل هذه القبائح والآفات الاجتماعية أمر بشع، فكيف بمن لا يتورع عن ارتكابها، مستغلا ضعف المعاقين وعجزهم؟!!.

وربما كانت المعاملة السيئة للمعاق أشد ضرراً عليه من الإعاقة ذاتها. فلا عجب أن يحرص الإسلام على أن ينقي مجتمعه من هذه الأمراض الاجتماعية. بل إن رسول الله - ﷺ - ينوه بفضل هؤلاء الضعفاء، وينبه إلى أنهم مصدر خير وبركة على المجتمع كله. فقال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟»(٤). وقال

---

(١) الترمذي في القيامة، وقال حسن غريب ٧: ١٩٦.

(٢) سورة الحجرات: ١١.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة ٤: ١٩٨٦.

(٤) البخاري في الجهاد ٦: ٨٨ وأحمد ١: ١٧٣ ونحوه عند الترمذي في الجهاد ٦: ٢٥ وأبو داود في الجهاد أيضاً ٣: ٤٥.

«ألا أخبرُكم بأهل الجنة؟ كلُ ضعيفٍ متضعَّفٍ، لوْ أقسمَ على اللهِ لأبرَّهُ. ألا أخبركُمْ بأهلِ النارُ؟ كلُ عُتُلٍّ جواظٍ مُسْتَكبرٍ»(١).

وحينما سبقت طائفة من الضعفاء والمساكين إلى الإيمان والجهاد فإن الإسلام أعلى من شأنهم، ورفع منزلتهم فوق منزلة أهل الحسب والمال والجاه ممن لم يكن له مثل سبقهم وجهادهم. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنَّ أبا سفيان أتى على سلمانَ وصهيبٍ وبلالٍ في نفرٍ، فقالُوا: واللهِ ما أخذتْ سيوفُ الله من عُنُق عدوِ الله مأخذهَا. فقال أبو بكر: أتقُولونَ هذاَ لشيخ قُريشٍ وسيِّدها؟ فأتى النبيَّ – ﷺ – فأخبره. فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئنْ كنت أغضبتهم لقد أغضبتَ ربَك» فأتاهم، فقال: يا إخوتاه، أغضبتكُم؟ قالوا: لا، يغفرُ الله لكَ يا أخيَّ»(٢).

وما دام الإسلام يدعو إلى التعاون على كل الأعمال النافعة – كما قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾(٣). فإن كل ما ينفع العجزة والمرضى والمعاقين ويخفف عنهم ويلبي احتياجاتهم ويفرج كربهم هو من أفضل أعمال البر والتقوى التي ينبغي أن تتضافر حولها الجهود، وتتكامل الأدوار والمهمات، وتتلاقى الإمكانات. ولهذا يجب أن يشمل هذا التعاون الجهات الحكومية مع الجمعيات الخيرية وأهل الخبرة والدربة مع أهل المال والقدرة المادية والمدارس والمعاهد التي تعني بشؤون المعاقين مع أسرهم. والموجهين والإعلاميين والخطباء مع المربين والدعاة والمصلحين في توفير كل ما يعود على هذه الطائفة من أبناء المجتمع بالنفع، وييسر لهم أسباب الحياة الكريمة والاستقرار النفسي.

---

(١) البخاري في الإيمان ١١: ٥٤١ ومسلم في الجنة ٤: ٢١٩٠. والعُتلُّ: الفظ الشديد وقيل الفاحش الآثم والجواظ: الكثير اللحم المختال في مشيته. وقي الفاجر: فتح الباري ٨: ٦٦٣.

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة ٤: ١٩٤٧.

(٣) سورة المائدة: ٢.

كما ينبغي أن تُعني خُطط التنمية الوطنية بهذه الشريحة من المجتمع والتي تمثل عددا غير قليل ونسبة لا يستهان بها في المجتمع، حيث قدرت بعض الإحصائيات أن نسبة المعاقين في الدول النامية تعادل ١٢,٣٪[١]، وإذا ما وضعنا في الاعتبار أسرهم وأقاربهم - الذين يتأثرون بدرجة كبيرة بأوضاع هؤلاء المعاقين ويشقون بشقائهم كما يسعدون براحتهم - فإن الاستثمار في المشروعات التي تؤدي إلى تأهيلهم يمثل حاجة مهمة وضرورية تُدخِل السعادة والنفع على قطاع كبير من المجتمع. كما أن الاستثمار في هذا الجانب ينعكس على المصلحة العامة للمجتمع، لما فيه من بعث للطاقات والقدرات والتي ثبت في العديد من الحالات أن فيها طاقات مبدعة، وقدرات فذة، ومواهب متألقة.

وينبغي للمؤسسات والمراكز والمرافق العامة أن تأخذ في الاعتبار حق المعاقين في الاستفادة من خدماتها، وتوفر لهم ما ييسر لهم ذلك من نحو المواقف والمداخل والسلالم الخاصة بهم.

كما ينبغي أن تتضمن الأنظمة والقوانين منح التسهيلات والإعفاءات من الرسوم والضرائب على الأجهزة والمستلزمات الخاصة بالمعاقين والتي لا يتأتى توفيرها لهم بلا مقابل.

التخفيف على المعاق فيما هو مكلف به من الأحكام

لم تقتصر رعاية الإسلام للمعاقين عند حد تكليف المسلمين: أفراداً وأسراً ومجتمعاً بما يحقق تلك الرعاية، وإنما تعدت ذلك إلى أحكام الإسلام وتكاليفه المطلوبة من المعاق ونحوه من المرضى والضعفاء. فإن الشريعة الإسلامية تتسم بروح اليسر والسهولة والبُعد عن الحرج والعسر بصورة عامة، كما قال - سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٢].

---

(١) دراسة حول تربية المعوقين في البلاد العربية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: ١٩.

(٢) سورة البقرة: ١٨٥

وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(١).

بيد أنها قد اختصت المعاقين والعجزة والمرضى بألوان خاصة من التخفيف تجعل امتثال الأحكام ميسوراً لهم، ورفعت عنهم كل ما فيه إرهاق أو إعنات.

ذلك بأن الإسلام لا يفترض في جميع الناس أنهم في قدرة أقواهم وأصبرهم على التحمل، ولكنه يقدِّر ضعف الضعيف. وعجز العاجز، وحالة صاحب العذر، فهو يجعل التكليف ابتداء على حسب الاستطاعة، كما قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٢). وكما قال - ﷺ: «إذا أمرتُكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتُكُمْ عَنْ شيءٍ فدعوهُ»(٣).

ويشرع - بعد ذلك لأصحاب الأعذار رخصاً خاصة، تتيح لهم أداء التكاليف الشرعية من غير مشقة، أو ترفع عنهم هذه التكاليف، فإذا عجز المريض عن القيام صلى قاعداً، وإذا عجز عن القعود صلى على جنبه، وكلما تعذرت عليه كيفية انتقل إلى كيفية أسهل منها، قال - ﷺ - لمن سأله عن الصلاة مع مرض ألمّ به: «صلى قائماً، فإنْ لم تستطعْ فقاعداً، فإنْ لمْ تستطعْ فَعلى جنبٍ»(٤). والمعتبر في عدم الاستطاعة شدة المشقة، أو خوف زيادة المرض، أو تأخر الشفاء. وأجاز الإسلام له أن يتوضأ أو يغتسل على الكيفية التي لا تزيد في مرضه، ولا تؤخر في شفائه، فله أن يمسح على الجبيرة بدل غسل ما تحتها أحياناً، وله أن يتيمم أحياناً أخرى، وأمر - عليه السلام - أئمة الصلاة بمراعاة أحوالهم، وحذر من أن يشق عليهم بإطالة الصلاة، فعن أبي مسعود الأنصاري قال: «قال رجل: يا رسول الله، لا أكاد

---

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) مسلم في الحج ٢: ٩٧٥ والنسائي في مناسك الحج ٥: ١١١ وابن ماجه في المقدمة ١: ٣ وأحمد ٢: ٢٤٧، ٢٥٨، ٣١٣، ٣٥٥.

(٤) البخاري في تقصير الصلاة ٢: ٥٨٧ والترمذي في الصلاة ٢: ٤٣ وأبو داود في الصلاة ١: ٣٤٤ وابن ماجه في إقامة الصلاة ١: ٣٨٦ وأحمد ٤: ٤٢٦.

أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان! فما رأيت موعظة أشد غضباً من يومئذ. فقال: «أيها الناسُ، إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهمُ الضعيف والمريضَ وذا الحاجة»(١).

وأباح لأصحاب الأعذار: كالمريض، والمسافر، والحامل، والمرضع، والشيخ الكبير، الإفطار في رمضان، ورفع الحرج في القعود عن الجهاد - أيضاً - عن صاحب العذر كالأعمى ، والأعرج، والمريض. قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ﴾(٢).

وعلى حين خفف الإسلام عن أصحاب الأعذار - ومنهم المعاقون - من التكليف، أو أعفاهم منه، فإنه قد جعل لهم من الأجر مثل ما للعاملين والمجاهدين، وذلك بنيتهم واهتمامهم.

فحينما أخبر الله - سبحانه - عن فضل المجاهدين من المؤمنين على القاعدين منهم، فإنه استثنى من القاعدين «أولى الضرر أي أصحاب الأعذار، فكأنه الحقهم بالمجاهدين. قال تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٣).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: «إن النبي - ﷺ - كان في غزاة فقال: إنَّ أقواماً بالمدينة خلفنا، ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا، حبسهم العذر»(٤). وفي رواية «إلا شركوكم الأجر»(٥).

وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله - ﷺ - «ما أحد من

---

(١) البخاري في العلم ١: ١٨٦ ومسلم في الصلاة ١: ٣٤٠.
(٢) سورة الفتح: ١٧.
(٣) سورة النساء: ٩٥.
(٤) البخاري في الجهاد ٦: ٤٧ ومسلم في الإمارة ٣: ١٥١٨ بلفظ «حَبَسَهُمْ المرضُ».
(٥) مسلم في الإمارة ٣: ١٥١٨.

المسلمين يصاب ببلاء في جسده إلا أمره الله الحفظة الذين يحفظونه قال: اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة مثل ما كان يعمل وهو صحيح، ما دام محبوساً في وثاقي»(١).

لكن الإسلام حين يخفف عن أصحاب الأعذار ويجعل لهم رخصاً خاصة فإنه لا يحجر على صاحب الطاقة والاستعداد منهم، وإنما يرسم الطريق الأسمى، ويشرع الصورة العليا، ثم يقبل من كل ما هو في استطاعته، مع فتح المجال للمستعدين للاستزادة من غير أن يرهق ضعيفاً أو عاجزاً، فهذا عمرو بن الجموح - رضي الله عنه - كان رجلاً أعرج، شديد العرج، وكان له بنون أربعة يشهدون مع رسول الله المشاهد. فلما أراد أبناؤه أن يثنوه عن حضور معركة أحد قالوا: إن الله قد عذرك! أتى رسول الله - ﷺ - فقال له: إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك، فوالله إني لأرجوأن أطأ بعرجتي هذه الجنة، فقال رسول الله - ﷺ -: «أما أنت فإن الله قد عذرك، فلا جهاد عليك»، وقال لبنيه: «ما عليكم أن لا تمنعوه؟ لعل الله أن يرزقه الشهادة». «فخرج معه، فقتل يوم أحد»(٢). ومثله الصحابي النعمان بن قوقل الخزاعي - رضي الله عنه - وهو بدري استشهد بأحد وقد كان أعرج، وهو القائل: أقسمت عليك ربَّ العزة لا تغيب الشمس حتى أطأ بعرجتي هذه خضر الجنة. فقال النبي - ﷺ - بعد استشهاده «إن النعمان ظن بالله عز وجل خيرا، فوجده عند ظنه، فلقد رأيته يطأ في خضرها مابه عرج»(٣).

وبهذا راعى الإسلام الوسطية والاعتدال، فلم يكلف المعاق تكليف الصحيح، حيث تنقص قدرته عن الصحيح، فاجتنب بذلك ما يمكن أن يرتد على المعاق حين يُكلف التصدي لما لا يقدر عليه من الشعور بالإخفاق

---

(١) أحمد ٢: ١٩٤، ١٩٨ ونحوه ٢: ٢٠٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٩٦.

(٣) الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣: ٥٣٤.

والإحباط، وأبقى الباب مفتوحاً لمن تدفعه همته ويأنس من الصبر على مواصلة الجهد، تطلعا إلى بلوغ المستوى الأعلى.

اهتمام الإسلام باجتناب أسباب الإعاقة

عُنيت الشريعة الإسلامية - عموماً - بجلب المصالح ودرء المفاسد وتحقيق السعادة، فهي رحمة بالإنسان، ولهذا جاءت بما يحفظ على الإنسان الضروريات التي لا تقوم الحياة إلا بها، فإذا ضاعت عم الفساد وشاعت الفوضى، وذلك من حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، كما جاءت - أيضاً - بتحقيق الحاجيات التي تضفي على الحياة السعة واليسر، وتنفي عنها الضيق والحرج. وتضمنت التحسينات التي تجعل الحياة منسجمة مع الفطر السليمة والمعاني الأخلاقية اللائقة بالإنسان(١).

وعليه فلا عجب أن تكون التشريعات الإسلامية كلها منافع، وأن تعني بما يجنب الإنسان الضرر عموماً، وفي نفسه وعقله خصوصاً، فتضمن الإسلام العديد من التوجيهات والإرشادات والتكاليف التي تنبه الإنسان إلى الخطر، وتحذره مما يمكن أن ينجم عن التهاون والغفلة تجاه مصادره، ومن ذلك:

١ - إباحة الطيبات وتحريم الخبائث: ففي إباحة الطيبات - مما هو مستلذ ونافع من المأكولات والمشروبات والملبوسات، ومن الأفعال والأقوال - نفع ومصلحة وجلب للعافية. كما في تحريم الخبائث - مما هو مستقبح وضار - دفع لأسباب الضرر من المرض وغيره. قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾(٢).

---

(١) انظر الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي ٤:٢ وما بعدها. وانظر أصول الدعوة ص ٦٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

٢ - منع الإسلام وتحريمه لمبدأ التسبب بالأذى والضرر للنفس وللآخرين:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(١). وقال ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾(٢). وقال ﷺ: «كلُّ المُسلمِ على المُسلمِ حرامٌ: دمهُ ومالُهُ وعرضُهُ»(٣).

وقال أيضاً «صنفان من أهلِ النَّار لمْ أرهمَا: قومٌ معهم سياطٌ كأذنابِ البقرِ يُعذبون بها الناس، ونساءٌ كاسيات عارياتٌ مميلاتٌ، رؤوسهن كأسنمةِ البُخْتِ»(٤). ويشمل مبدأ المنع من إيلام الناس وإيذائهم وتعذيبهم - من غير سبب موجب - الناس جميعاً، بغض النظر عن الدين أو الجنس أو اللون أو غير ذلك من الاعتبارات. قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(٥). وعن هشام بن حكيم - رضي الله عنه - أنه مرّ على أناس من الأنباط(٦) - وقد أقيموا في الشمس، وصب على رؤوسهم الزيت - قال: ما هذا؟ قالوا: «يعذبون في الخراج»، وفي رواية: «في الجزية» فقال أشهد لسمعت رسول الله - ﷺ - يقول «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا» فدخل على الأمير فحدثه، فأمر بهم فَخُلُّوا(٧).

بل يراعي الإسلام هذا المبدأ حتى في الحرب، فلا يجيز الاعتداء على

---

(١) سورة البقرة: ١٩٥.

(٢) سورة النساء: ٢٩.

(٣) الترمذي في البر ٦: ١٧٤ وأبو داود في الأدب ٥: ١٩٦ وابن ماجه في الفتن ٢: ١٢٩٨.

(٤) مسلم في الجنة وصفة نعيمها ٤: ٢١٩٢ - ٢١٩٣.

(٥) سورة المائدة: ٣٢.

(٦) الأنباط: هم فلاحو العجم.

(٧) رواه مسلم في البر والصلة ٤: ٢٠١٨.

غير المحاربين من النساء والشيوخ والصبيان والرهبان، فإنه - ﷺ - كان يوصي أمراء جيوشه وسراياه: «لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً»[1]، وفي رواية «وأصحاب الصوامع»[2] وقال: «انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضعوا غنائمكم، وأصلحوا ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾[3]،[4].

وبالنهي عن قتل النساء والأطفال والشيوخ ومن لم يقاتل. فسر ابن عباس وغيره[5] قوله الله تعالى ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾[6].

٣ - الأمر بحفظ الأطعمة والأشربة:

قال ﷺ: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، واغلقوا الباب، وأطفئوا السراج. فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابا، ولا يكشفُ إناء»[7]. ولا شك أن في تغطية الأطعمة والأشربة نوعاً من الحفظ لها من التلوث والتسمم، مما يقي من الأضرار الصحية المترتبة على ذلك.

٤ - التحذير من خطر النار والتنبيه إلى ما يمكن أن ينجم عن إهمال أسباب نشوبها.

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: احترق بيت بالمدينة على أهله

---

(١) رواه مسلم ٣:١٣٥٧، وأبو داود ٣: ٨٦ ومالك ٢: ٤٤٨ كلهم في الجهاد والبيهقي في السنن ٩: ٩١.
(٢) سنن البيهقي ٩: ٩١.
(٣) سورة البقرة: ١٩٥.
(٤) أبو داود في الجهاد وسكت عنه ٣: ٨٦.
(٥) جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير ٣: ٥٦٢.
(٦) سورة البقرة: ١٩٠.
(٧) مسلم في الأشربة: ٤: ١٥٩٤.

من الليل، فحدث بشأنهم النبي - ﷺ - فقال: «إن هذه النار إنما هي عدوٌ لكم، فإذا نمتم فأطفئوها»[١]. وقال: «إن الفويسقة تضرمُ على أهل البيت بيتهم»[٢]، وقال: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون»[٣].

٥ - الحث على إماطة الأذى عن الطريق.

قال - ﷺ - «مر رجلٌ بغُصن شجرة على ظهر الطريق فقال: لأنحينَّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأُدْخِلَ الجنة»[٤]، وقال: «عرضت علي أعمال أمتي: حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق»[٥]، وعن أبي برزة قال: قلتُ: يا رسول الله: علِّمني شيئاً أتنفع به. قال: «اعزلِ الأذى عن طريقِ المسلمينَ»[٦].

وفي إزالة الأحجار ونحوها من أسباب السقوط والتعثر والحوادث من الطريق دفع لأسباب الإصابة والإعاقة.

٦ - التنبيه لأخطار العبث بالسلاح والأمر باتخاذ الاحتياطات اللازمة.

إذ كثيراً ما تؤدي الغفلة أو الخطأ أو الجهل أو المزاح بالأسلحة إلى وقوع الإصابات الخاطئة التي تنتهي بالقتل أو العجز أو الإعاقة، ولهذا حذر - عليه السلام - من هذه الأخطار، ونبه إلى ضرورة حمل السلاح ومناولته بين الناس بالطريقة الصحيحة. فقال - ﷺ - «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعلَّ الشيطان ينزع في يديه، فيقع في حفرة من حفر النار»[٧].

---

(١) البخاري في الاستئذان ١١: ٨٥ ومسلم في الأشربة ٣: ١٥٩٦ - ١٥٩٧.

(٢) مسلم في الأشربة ٣: ١٥٩٤، والفويسقة: هي الفارة.

(٣) البخاري في الاستئذان ١١: ٨٥ ومسلم في الأشربة ٣: ١٥٩٦ وأبو داود في الأدب ٤: ٤٩٠ والترمذي في الأطعمة ٦: ١٠٩ وابن ماجه في الأدب ٢: ١٢٣٩.

(٤) مسلم في البر والصلة ٤: ٢٠٢١، ابن ماجه في الأدب ٢: ١٢١٤.

(٥) مسلم في المساجد ١: ٣٩٠ وابن ماجه في الأدب ٢: ١٢١٤.

(٦) مسلم في البر والصلة ٤: ٢٠٢١.

(٧) البخاري في الفتن ١٣: ٢٤ ومسلم في البر والصلة ٤: ٢٠٢٠.

ومرَّ رجلٌ في المسجد بأسهم قد بدا نصولها فأمر أن يأخذ بنصولها، لا يخدشُ مسلماً»[١]، وقال: «إذا مرَّ أحدكُمْ في مسجدنا أو في سوقنِا ومعه نبلٌ فَليُمسكّ على نصالها – أو قال: فليقبضْ بكفه – أن يُصيبَ أحداً من المسلمين منها شيء»[٢]، ونهى –ﷺ– أنْ يُتَعَاطَى السيفُ مسلولا[٣].

٧ – التحذير من السقوط أثناء النوم.

فقد نهى – ﷺ – عن التهاون في تعريض النفس لخطر السقوط أثناء نوم الإنسان، وذلك لما يترتب عليه من الإصابة والضرر. وفي الحديث: «نَهَى رسول الله – ﷺ – أنْ ينام الرجلُ على سطح ليس بمحجور عليه»[٤]. وفي رواية «من بات على ظهر بيتٍ ليسَ لهُ حجارٌ فقد برئت منه الذمةُ»[٥].

٨ – تحذير من لا يعرف عنه الاشتغال بالطب من تولى معالجة الناس وتطبيبهم.

لما في ذلك من الإضرار بالصحة والتسبب في تفاقم الأمراض والإصابات، مما يمكن أن ينجم عنه الوفاة أو العجز أو الإعاقة. أو على الأقل إشغال المريض أو المصاب عن أن يبحث عن العلاج الصحيح لعلته، مما يزيد في معاناته. وقد ألزم – ﷺ – من تصدى للطب – ولم يكن من أهله – أن يضمن ما يترتب على عمله من الإضرار. فقال «أيما طبيب تطبَّب على قوم لا يعرف له تطبيب قبل ذلك فأعنت فهو ضامن»[٦].

٩ – محاربة الإسلام للجهل والأمية:

يعتبر الجهل من أعظم أسباب تفشي الأمراض والأخطار واستفحالها،

---

(١) البخاري في الفتن ١٣: ٢٤ ومسلم في البر والصلة ٤: ٢٠١٩.
(٢) البخاري في الفتن ١٣: ٢٣ ومسلم في البر والصلة ٤: ٢٠١٩.
(٣) رواه أبو داود في الجهاد ٣: ٤٤ والترمذي في الفتن ٦: ٣٣٢ وأحمد ٢: ٣٠٠.
(٤) رواه الترمذي في الأدب وقال: حديث غريب ٧: ٦٨.
(٥) رواه النسائي ٤: ٤٢٤. وأبو داود ٤: ٤٤٢ كلاهما في الأدب.
(٦) رواه أبو داود في الديات ٤: ٢٧١. ونحوه عند ابن ماجه في الطب ٢: ١١٤٩.

وما يمكن أن ينجم عن ذلك من العجز والإعاقة نتيجة الجهل بسبل الوقاية وطرائق العلاج. وقد دلت الإحصائيات والدراسات على أن العدد التقديري للمعاقين في العالم سنة ١٩٧٥م حوالي (٤٥٠) مليون معاق، وأن (٧٥٪) منهم يعيشون في الدول النامية، كما قدرت بعض هذه الإحصائيات أن العدد سيتزايد عام ٢٠٠٠م إلى حوالي (٦٠٠) مليون معاق، وأن (٤/٥) هذا العدد سيكون من الدول النامية[١].

ولهذا أعلن القرآن الكريم الحرب على الجهل والأمية، ودعا إلى العلم، وأوجب الإسلام على الجاهل أن يتعلم، وعلى العالم أن يعلِّم، وأشاد بمنزلة العلماء، وكان أول القرآن نزولا: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾[٢]. ونحو ذلك من دعوة القرآن إلى التدبر والتفكر والنظر وإعمال العقل، مما تغني شهرته عن إيراد مزيد من الأدلة عليه.

١٠ - مكافحة الإسلام لمظاهر الفقر والفاقة وعلاجه لهما.

دلت الإحصائيات التي أشرنا إليها - قريباً - على أن أهم أسباب الإعاقة في الدول المتقدمة ترجع إلى كبر السن، حيث المتوسط العام للعمر حوالي ٧٠ سنة، على حين ترجع أهم هذه الأسباب في الدول النامية إلى المرض وسوء التغذية، ويتراوح متوسط عمر الفرد بين (٤٠ - ٥٠ سنة)[٣].

كما دلت - أيضاً - على أن عدد الإعاقات الناجمة عن سوء التغذية كان في عام ١٩٧٥ حوالي المائة مليون، وأن العدد سيبلغ بحلول عام ٢٠٠٠ حوالي (١٤٩) مليوناً معظمها في الدولة النامية[٤]، ودلت إحصائيات أخرى

---

(١) العوامل المسببة للإعاقة وبرامج الوقاية في منطقة الخليج. د. عثمان لبيب، ص ٢١.
دراسة حول المعاقين في البلاد العربية ١٨ - ١٩.

(٢) سورة العلق: ١.

(٣) العوامل المسببة للإعاقة وبرامج الوقاية: ٢١.

(٤) دراسة حول تربية المعوقين في البلاد العربية: ١٩.

على أن معدل الإنفاق العالمي على المعاقين يمثل سنتاً واحداً لكل معاق في العالم، معظمه في الدول المتقدمة(١).

ولهذا عني الإسلام - كثيراً - بمقاومة أسباب الفقر والتحذير من الكسل والتراخي، واعتبر الصغار أمانة ومسؤولية، وأن الإنفاق عليهم من الجهاد في سبيل الله، وحث الأغنياء على التصدق على الفقراء والمحتاجين، وأوجب تأمين الحاجات الضرورية لكل فرد في المجتمع، كما أشرنا سابقاً.

فقال سبحانه ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾(٢) وفي الحديث: استعاذة رسول الله - ﷺ - من العجز والكسل(٣)، واستعاذته من الفقر: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»(٤).

ومَرَّ على النبي - ﷺ - رجلٌ عجب الصحابة من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله! فقال: إن كان يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»(٥).

١١ - تحريم المسكرات والمخدرات والتوعد على اقترافها:

حرم الإسلام المسكرات والمخدرات بشتى أنواعها، ومهما كانت كميتها، وتوعد على تناولها والاتجار بها وتصنيعها، وأوجب العقوبات الرادعة لكل من يسعى إلى تناولها، فضلاً عن ترويجها، وسمى الخمرة أم الخبائث، لكثرة

---

(١) الأبعادالعالمية للإعاقة: ليوتا المغيري، ضمن بحوث وتقاير ووثائق المؤتمر الخامس للجنة الشرق الأوسط لشؤون المكفوفين: ٧٨.

(٢) سورة الجمعة: ١٠.

(٣) البخاري في الأطعمة ٩: ٥٥٤. والدعوات ١١: ١٧٣، ١٧٨ والجهاد ٦: ٨٦ ومسلم في الذكر ٤: ٢٠٧٩.

(٤) النسائي في السهو ٣: ٧٤. وأحمد ٥: ٣٦، ٣٩.

(٥) الطبراني في معاجمه الثلاثة كما في مجتمع الزوائد ٤: ٣٢٥ وقال: «رجال الكبير رجال الصحيح».

أضرارها، والتي لا يكاد يسلم منها عضو من أعضاء الإنسان. قال سيدني كاني في كتابه «علم السموم» (إن الخمر هي السبب المباشر في خمسين في المائة من مجموع حالات الوفاة التي يفحصها معمل الطب بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة)(١).

وقد أفادت إحصائية أجريت في المستشفيات الأمريكية أن (٣٢٪ من الأطفال المولودين من أمهات مدمنات ولدوا مشوهين، و٤٤٪ يتمتعون بذكاء أقل من غيرهم، إضافة إلى إصابات بأمراض القلب والدورة الدموية)(٢).

كما دلت بعض الدراسات التي أجريت على ما يزيد على مائتي طفل نصفهم من أبناء السكيرين على أن نسبة الوفيات في السنوات الثلاث الأولى في أبناء السكيرين ثلاثة أمثالها من أبناء غير السكيرين(٣).

وذكر عدد من الأطباء الذين يعملون في مصح شادل لمعالجة الإدمان - وهو أشهر مصح لمعالجة الإدمان في الولايات المتحدة - أن نسبة المدمنين بين الأشخاص الذين هم من عائلات ذات تاريخ في الإدمان هي أربعة أمثال الأشخاص المنتمين لعائلات ليس لها مثل هذا التاريخ، وأجريت تجارب أخرى نقل فيها أولاد المدمنين من بيوت أسرهم وأنشئوا نشأة بعيدة عن الإدمان غير أنه تبين أن نسبة كبيرة منهم تحولت إلى الإدمان بمجرد تعرضها للشرب(٤).

هذا بالإضافة إلى كون المسكرات والمخدرات سبباً واضحاً من أسباب الإصابات البدنية التي ينجم عنها في كثير من الأحيان إعاقات، وذلك من حيث ما تسببه من حوادث المرور، فإن من يقود سيارته وهو غير مالك

---

(١) الخمر بين الطب والفقه: الدكتور محمد علي البار: ٤٢.

(٢) مجلة المجتمع الكويتية. عدد ٤٠٦ صدرت في ٢٧ شعبان ١٣٩٨ الموافق للأول من أغسطس ١٩٧٨: ص٩.

(٣) المسكرات بين الشرائع السماوية والقوانين الجنائية: إسماعيل الخطيب: ٤.

(٤) الخمر بين الطب والفقه: ٢٩ - ٣٠.

لزمام تصرفاته، وغير متمتع بعقله ورشده لا يمكن له أن يحافظ على حياته، فضلاً عن حياة غيره ممن يرافقه في سيارته أو يشاركه السير على الطريق.

ولا يوجد شك في أن الكحول هو السبب الأول لحوادث السيارات في العديد من الدول الغربية، وأنه يتسبب في ما لا يقل عن خمسين في المائة من هذه الحوادث، وإذا كانت التقارير الرسمية لا تبلغ بها أحياناً هذه النسبة فليس مرد ذلك إلى الواقع، بل مرده إلى القوانين هنالك التي لا تعتبر وجود حالة السكر بمجرد الشرب، بل لا بد أن تصل كمية الكحول في الدم نسبة معينة، مع أنه ثبت علمياً أن أية كمية يتناولها الإنسان من الكحول لا بد أن تؤثر على يقظته وانتباهه.

وفي إحدى نشرات هيئة الصحة العالمية عن الخسائر المترتبة على حوادث مدمني الخمرة قدرة بحوالي خمسة وثمانين مليار دولار في السنة، أما جملة الخسائر المترتبة على الإدمان من خسائر الأجور والجرائم والحوادث والرعاية الطبية والاحتجاز في السجون المحلية فبلغت ٨٦٧ ملياراً في السنة(١).

كما أن المسكرات والمخدرات سبب من أسباب الإعاقة من جانب آخر، سوى ما تسببه للبدن من الأمراض، وللنشء من الأضرار، وسوى إصابات المرور، وذلك أنها مسبب رئيس للجرائم وما يترتب عليها من الأضرار والإصابة بالإعاقات.

وقد قدر التقرير الذي أشرنا له قريباً الخسائر المترتبة على جرائم الإدمان فحسب بـ ١٨٨ مليار دولار في السنة.

ولعل هذا يسهم في فهم حكمة الإسلام من تحريم كل من المخدرات والمسكرات، والتحذير من تناول أي مقدار منها، وسد كل الطرق المؤدية إلى شيوع هذه الظواهر الضارة، وشرع العقوبة الرادعة للمخالفين.

---

(١) المسكرات بين الشرائع السماوية والقوانين الجنائية: ٤٣ وانظر علم نفس الشواذ: والتر – ج: ٣٠٥.

١٢ - محاربة التدخين:

كما يشمل موقف الإسلام في محاربة كل ما يلحق الضرر بالإنسان التدخين، وذلك لكثرة الأدواء والأمراض التي يؤدي إليها. ولما يصيب الجسم عموماً بسببه من الإنهاك والضعف.

فلا تزال التقارير الطبية تربط بين التدخين وأمراض القلب والتهاب الرئة والسرطان وغيرها من الأمراض القاتلة، حيث تدل على أن معدل الإصابة بهذه الأمراض لدى المدخنين أعلى بكثير من غيرهم. كما تشير إلى تأثر زملاء المدخنين في العمل بأضرار التدخين، وإلى ارتفاع معدل الإصابة بالنوبات القلبية لدى أزواج المدخنات، حتى لو لم يكونوا مدخنين، وتنال هذه الأضرار - أيضاً - الأطفال، حيث تؤكد الأبحاث الطبية أن طفل المرأة المدخنة يولد سقيماً ضعيفا، وزنه أقل من المعدل الطبيعي، وقد يموت في الأسبوعين الأولين من عمره.

وقد تبيّن أن ذلك يرجع إلى تلف الكبد والقلب وغيرهما من الأعضاء الرئيسية، كما يتعرض هؤلاء الأطفال قبل أن يبلغوا السنة الثانية إلى أمراض الرئة ضعف غيرهم، ويقضي عدد كبير منهم في الأعوام الأولى أو يتعرضون لعاهات مستمرة[(١)].

١٣ - حث الإسلام على ممارسة وسائل الوقاية من أسباب العدوى:

فقد أمر - ﷺ - بالابتعاد عن المجذوم، فقال «فِرَّ من المجذُوم فراركَ مِنَ الأسدِ»[(٢)]. ونهى عن دخول المناطق التي يتفشى فيها الطاعون، فقال: إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تقدموا عليها»[(٣)]. وقال أيضاً: «لا توردوا الممرض على المصح»[(٤)].

---

(١) انظر: الدخنية في نظر طبيب للدكتور هـ كرس: ٣٥.

(٢) البخاري في الطب ١٠: ١٥٨. أحمد ٢: ٤٤٣.

(٣) البخاري في الطب ١٠: ١٧٩. مسلم في السلام ٤: ١٧٤٠ - ١٧٤١.

(٤) البخاري في الطب ١٠: ٢٤٣. مسلم في السلام ٤: ١٧٤٣.

ولا تنافي بين هذه الأحاديث وبين ما جاء في قوله - ﷺ -: «ولا عدوى»[1] فإن المراد - كما ذهب إليه جمع من أهل العلم[2] نفي ما كانت تعتقده العرب من أن شيئاً يعدي بطبعه، من غير توقف على مشيئة الله.

وإفضاء الأسباب إلى نتائجها كله متوقف على مشيئة الله، ولهذا فإن الحديث الذي جاء فيه نفي العدوى جاء فيه - أيضاً - الأمر بالفرار من المجذوم «لا عَدْوى، ولا طِيَرة، ولا هامة، ولا صَفَر، وفِرَّ من المجذومِ فِرارَكَ مِنَ الأسدِ»[3].

١٤ - الحث على مداواة العلل ومعالجة الأمراض: وذلك لئلا يستفحل خطرها، وتتفاقم أضرارها، قال - ﷺ -: «يا عباد الله، تداووا، فإنَّ الله لم يضع داءً إلا وضع له دواء، إلا داء واحداً». قالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: «الهرم»[4].

١٥ - الحض على الأخذ بالأسباب بصورة عامة.

وذلك في ما ينفع الإنسان في دنياه وأخراه، وأن ذلك لا ينافي الإيمان بالقدر، فإن امتثال أوامر الشرع يقتضي الأخذ بالأسباب، وإن ترتب نتائج هذه الأسباب عليها، أو عدم ترتبها متوقف على قدر الله ومشيئته، فقد سئل رسول الله - ﷺ - «أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها، وتقى نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: «هِيَ من قدر الله»[5].

ولهذا دعا الإسلام إلى الأخذ بالأسباب، كما في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّواْ

---

(١) البخاري في الطب ١٠: ١٥٨. مسلم في السلام ٤: ١٧٤٣.
(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠: ١٦٠.
(٣) البخاري في الطب ١٠: ١٥٨.
(٤) الترمذي في الطب وقال حسن صحيح ٦: ٢٣٩. وأبو داود في الطب ٤: ٦ وابن ماجة في الطب أيضاً ٢: ١١٣٧.
(٥) الترمذي في الطب ٦: ٢٥٨. وفي القدر ٦: ٢٢٠. وابن ماجة في الطب ٢: ١١٣٧. وأحمد٢: ٤٢١.

﴿لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1]. وكما في قوله - ﷺ - : «احْرِصْ على مَا ينفعك»[2]، وكانت طريقته - عليه السلام - في هجرته وغزواته وسائر حياته الأخذ بالأسباب.

على أنه ليس المقصود التنبيه إلى هذه الأمور بخصوصها فحسب، وإنما المقصود التنبيه إلى الأخذ بالحيطة والحذر تجاه كل أسباب الخطر، من نحو التهور في قيادة السيارة، أو التقصير في وقاية الصغار من أسباب الصعق بالكهرباء، أو تعرضهم للحرق بالسوائل الحارة، أو ترك الأدوية في متناول أيديهم، أو تعرضهم للإصابات الخاطئة بالأسلحة النارية، وما يشبه ذلك، مما تكون عاقبته الإصابات المؤدية للموت أو العجز والإعاقة.

المبحث الثاني
عناية الحضارة الإسلامية بالمعاقين

ترجمت الحضارة الإسلامية موقف الإسلام من المعاقين بصورة ملموسة، تجلت في مظاهر كثيرة للعناية بهم ورعايتهم والتخفيف من آثار هذه الإعاقة عليهم، وانجلت نظرة الإسلام للمعاقين - وما انبثق عنها من وجوه الرعاية لهم - عن ظهور نماذج كثيرة من أصحاب العاهات لم تقعد بهم حالاتهم هذه عن أن يحرزوا قصب السبق، ويبزوا في العديد من المرات أقرانهم الأصحاء. فظهر منهم العلماء والأدباء والعباقرة والقادة وغيرهم من مشاهير الموهوبين. ولعل من المناسب قبل أن نتحدث عن وجوه الرعاية التي نالها المعاقون في التاريخ والحضارة الإسلاميين أن نشير إلى ما كانت عليه النظرة إلى المعاقين قبل الإسلام وحين مجيئه، وربما بعد مجيئه أيضاً.

---

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

(٢) مسلم في القدر ٤: ٢٠٥٢. وابن ماجة في المقدّمة ١: ٣١. ونحوه عند أحمد ٢: ٣٦٦ - ٣٦٧.

النظرة إلى المعاقين قبل الإسلام:

كان الناس ينظرون إلى المعاقين بشكل عام نظرة ملؤها الإزدراء والاحتقار، فكأنما الإعاقة في حد ذاتها وصمة عار وعلامة انحطاط، وحريٌّ بصاحبها أن يكون حبيس البيت اختفاء عن الأنظار. بل إن بعض الأمم كانت تسمح بقتلهم، ففي إسبرطة كانوا يدعون الأطفال الضعفاء والمشوهين يموتون في العراء، وفي روما كان القانون يسمح للآباء بإغراق أبنائهم. وكان الاعتقاد السائد أن إصابات هؤلاء المعاقين ترجع إلى الأرواح الشريرة، ولم تزل النظرة إلى المعاقين في أوربا يشوبها الشك والريبة حتى القرنين الأخيرين، فقد اتُّخذوا في القرون الوسطى مادة للسخرية، واستخدمهم بعض النبلاء مهرجين ومضحكين، وتم إحراق كثيرين منهم، ظناً من الناس أنهم سحرة[١].

ولم تكن نظرة المجتمع العربي في الجاهلية تختلف عن ذلك، إذ تقوم على احتقار المعاق وتعييره بعاهته، واعتباره بلا فائدة تذكر، طالما أن الحياة العربية تقوم على القتال والجلاد والنهب ودفع غارات المهاجمين عن القبيلة، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك، وكان العرب يتجنبون الأكل مع أصحاب العاهات ومخالطتهم ومجالستهم[٢]. فيذكر بعضهم صورة من هذه المعاملة تتمثل في إخراج قريش لعمرو بن عبدالله بن الوهيب من مكة إلى الشعاب بسبب ما أصابه من البرص، وذلك تقذراً منه، ومخافة عدواه - وقد كانوا يخافون البرص والجرب والصفرة والعدسة[٣] والجدري - فلما ضاق الأمر بالرجل خارج بلده مع ما يجد من الألم قرر أن ينتحر فأخذ السكين وشق جنبه ليموت فيستريح، فسال الماء الذي فيه وشفي من مرضه[٤].

---

(١) انظر الموسوعة العربية العالمية ٢٣: ٤٣٩.

(٢) انظر مجلة الفيصل، عدد اكتوبر ١٩٨١، الإسلام والمعوقون لعبدالله شرف: ٥٩.

(٣) الصفَرة: داء في البطن يصفر منه الوجه. والعدسة: بثرة تخرج في مواضع من الجلد من جنس الطاعون تقتل صاحبها غالبا.
لسان العرب مادة صفر ٤: ٤٦١. مادة عدس ٦: ١٣٢.

(٤) البرصان والعرجان والعميان والحولان: ٥٢ المحبر لابن حبيب ٣٠٠ - ٣٠١.

ظهور مؤسسات العناية بالمعاقين لدى المسلمين في فترة مبكرة:

بدأ الاهتمام الحقيقي بالمعاقين في الإسلام مع بواكير الدعوة، فكان عتاب الله سبحانه لرسوله - ﷺ - بشأن الأعمى عبدالله بن أم مكتوم عندما تشاغل عنه رسول الله ببعض عظماء قريش وعبس في وجهه، فنزل قول الله سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾[١].

وعندما طلب جماعة من أشراف قريش من رسول الله - ﷺ - أن يخصص لهم مجلساً لا يحضره الضعفاء من مثل بلال وصهيب وعمار وعبدالله بن مسعود وذلك ترفعاً عن مجالستهم - نهى الله سبحانه نبيه عن ذلك، وأمره بلزوم هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي. فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[٢]. وكلتا الحادثتين وقعت في الفترة المكية، وكان رسول الله - ﷺ - يكرم هؤلاء الضعفاء، ويقدر لهم فضلهم ومكانتهم. وها هو ينبه صاحبه أبا بكر إلى هذه المكانة ويقول له: «لَئِنْ كُنتْ أَغضبتَهُمْ لَقَدْ أَغضبتَ ربكَ»[٣]، ويستخلف عبدالله بن أم مكتوم على المدينة مرتين. واستمر عليه السلام - وهو القدوة - يحث أصحابه على رحمة الضعفاء والإحسان إليهم، وقد أشرنا إلى شيء من النصوص المتعلقة به فيما مضى.

غير أن حالة الاهتمام والعناية والرعاية للمعاقين بل سائر المرضى والضعفاء والمحتاجين لم تعد قاصرة على تصرفات مجموعة من الأفراد في

---

(١) سورة عبس: ١ - ٤.
(٢) سورة الكهف: ٢٨.
(٣) أردنا الحديث بتمامة وعزوناه في ص ١٦.

المجتمع بمقدار ما أصبحت تمثل نمطاً من أنماط الحياة الإسلامية وسياسة ثابتة، لها نظمها وقواعدها، ولها وسائلها ومؤسساتها، وتشكل واجباً والتزاماً من الدولة نحو رعاياها، بغض النظر عن الجنس أو اللون أو الدين. وتظهر في سلوك الخلفاء والحكام - فضلاً عن غيرهم من الناس - بل غدت تياراً وطابعاً شعبياً عاماً، فشاعت في المجتمع الإسلامي طريقة وقف الموارد الثابتة على حاجات هذه الشريحة من المجتمع.

قال طلحة بن عبدالله: خرج عمر ليلة في سواد الليل، فدخل بيتاً، فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت، فإذا عجوز عمياء مقعدة. فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ فقالت: «إنه يتعاهدني مدة كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى»[١]. وروى أبو يوسف في الخراج: أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مر بباب قوم وعليه سائل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي. قال عمر: فما الجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله فرضخ[٢] له بشيء من المنزل. ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم «إنما الصدقات للفقراء والمساكين» الفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب» ووضع الجزية عنه وعن أمثاله[٣]. بل إن الدولة المسلمة كانت تعتبر أن مسؤوليتها لا تقف عند إعفاء هذا وأمثاله من الجزية، ولكنها تشمل الإنفاق عليهم وعلى أزواجهم وأولادهم، مسلمين كانوا أم غير مسلمين.

فهذا خالد بن الوليد - رضي الله عنه - يكتب في صلحه لأهل الحيرة: (وإني نظرت في عدتهم فوجدت عدتهم سبعة آلاف رجل، ثم ميزتهم،

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٧: ١٣٥.
(٢) أي أعطاه شيئاً.
(٣) الخراج: ١٢٦.

فوجدت من كانت به زمانة ألف رجل، فأخرجتهم من العدة، فصار من وقعت عليه الجزية ستة آلاف)، وفيه: (وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل ذمته يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت المال وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار السلام)(١).

ولم تلبث العناية بالمرضى والمعاقين من أصحاب العاهات أن تطورت إلى ظهور المارستانات (المستشفيات) في ديار الإسلام، وفي فترة مبكرة من تاريخه. وأول من أنشأ مارستاناً في الإسلام، هو: الوليد بن عبدالملك. فقد بناه في دمشق سنة ٨٨هـ، وعين الأطباء للإشراف عليه،وعزل المجذومين، وأجرى عليهم الأرزاق(٢). وأمرهم أن لا يسألوا الناس، وأعطى كل مقعد خادماً، وكل أعمى قائداً، وجعل ديواناً خاصاً للزمنى وقال: (لأدعن الزمِن أحب إلى أهله من الصحيح)(٣)، وهو أول من اتخذ داراً لضيافة الواردين. وخصص عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - داراً لإطعام المساكين والفقراء وابن السبيل. وأنشأ المنصور دوراً للعميان والأيتام والقواعد من النساء(٤).

وانتشرت المارستانات بعد ذلك، في الحواضر الإسلامية وأنفق عليها الخلفاء بسخاء، وتفننوا في اختيار مواقعها، وفي طريقة بنائها، وجعلوها متاحة للعامة من الناس. كما عرف المسلمون - أيضاً - ما أطلق عليه حديثاً المستشفيات المتنقلة(٥). وشمل العلاج في هذه المستشفيات المجانين والمصابين بالأمراض النفسية، وذلك بالطرق العلمية والعملية في الوقت الذي لم يكن في العالم من يتعامل مع هذا النوع من الأمراض إلا بالأساليب

---

(١) الخراج لأبي يوسف: ١٢٦.
(٢) انظر: خطط المقريزي ٢: ٤٠٥.
(٣) انظر: خطط الشام لكرد علي ١: ١٢٢، ٦/١٥٧.
(٤) المصدر السابق ٦: ١٣٤.
(٥) انظر: الموسوعة العربية العالمية ٢٧: ١٢٨.

القائمة على الخرافات والأساطير والشعوذة. وقد وصف أبو حامد الغرناطي نظام المستشفيات الدقيق في دمشق في القرن السادس الهجري، وأنه يعالج بأساليب مبتكرة، ويشمل بعلاجه المجانين(١). وعرف المسلمون طرقاً من العلاج بقيت مستخدمة إلى عهد قريب - وربما بعضها ما يزال إلى الآن - من مثل ما أشار له الرازي في كتابه الحاوي متحدثاً عما يطلق عليه الآن بشلل الأطفال وعلاجه بالتدليك مع استخدام الماء الساخن، كما استخدمت المعالجة بالماء الساخن لمعالجة النوبات الحادة ولمساعدة بعض المعاقين، وعرف المسلمون - أيضاً - نظام الحمامات التي يوجد فيها غرف التسخين بالبخار والأحواض الحارة والباردة.

وقد أعجب الطبيب الفرنسي PINEP «بنيب» بما شاهده في مستشفيات الأندلس من المعالجة بالعمل والأشغال اليدوية، حيث كان مرضى الأعصاب يشاركون في أنشطة فلاحة الأراضي المتاخمة للمستشفيات بدون الحراسة المشددة. مما دفع هذا الطبيب أن يكسر سلاسل المرضى عقلياً حينما عاد إلى بلاده(٢).

وقد شملت أبحاث مشاهير الأطباء في هذه الحضارة دراسات حول تشخيص ومعالجة كثير من الأمراض المؤدية إلى الإعاقة البدنية أو العقلية أو النفسية، ومن ذلك: كتاب أبي بكر الرازي في صناعة التجبير، وكتابه في كيفية الإبصار، وقوانين التقاط النور بالعين، ومقالة في علاج العين بالحديد. ومن ذلك: ما فعله ابن الجزار القيرواني، حيث فصل طب الأطفال عن غيره من أنواع الطب، وأشار في كتابه «سياسة الصبيان وتدريبهم» إلى مرض الصرع، وضمور الجمجمة، ومرض الحصبة. كما تعرض ابن سينا لما تعرض له الرازي وابن الجزار، وأضاف فصولاً تتعلق ببعض المعاقين، مثل

---

(١) انظر: مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين: صلاح الدين المنجِّد: ١٣٤.
(٢) انظر مؤشرات وملامح التجربة العالمية في مجال تأهيل المعاقين: يوسف القروي: ٢١٦ ضمن الإعاقة ورعاية المعاقين في أقطار الخليج.

فصل في الرعونة والحمق، وفصل في اختلاط الذهن والهذيان، وفصل في فساد التخيل، ومقالة في مخارج الحروف(١).

دور الوقف الخيري في رعاية المعوقين:

إلى جانب جهود الخلفاء والحكام والدولة - عموماً - في العناية بالمعاقين كانت هناك جهود تطوعية وشعبية يشارك بها عامة الناس، ومن أبرز مظاهرها: الوقف الخيري الذي يهدف إلى تلبية حاجات المجتمع وتنظيم مسيرته بصورة صحيحة، وقد شمل وجوهاً من أعمال البر والخير والرحمة تجاوزت الإنسان إلى الحيوان، وتمثلت في إطعام الجياع، وعلاج المرضى والمعاقين، واستئجار من يقود العميان، ويخدم المقعدين، وفي مساعدة الحتاجين، وإيواء الغرباء، وكسوة العراة، وتعليم الجهال، وسد حاجة كل ذي حاجة. فوفر موارد ثابتة للإنفاق على أصناف من المنافع العلمية والاجتماعية والإنسانية متضمنة لبناء المساجد، وإنشاء المستشفيات، والمدارس والمعاهد والخانات، والفنادق والسقايات ودور وملاجئ العجزة، ودور الرعاية الاجتماعية، وحفر الآبار الخيرية، وإنشاء القناطر والجسور والطرقات، لعبور المسافرين وسقايتهم واستراحاتهم، وإقامة المكتبات العامة، وغيرها من المؤسسات التي تقدم المنافع المجانية للجميع، وخاصة الفقراء وطلاب العلم، والأيتام واللقطاء، والمرضى والعميان، والمقعدين والصم والمساجين، ونحوهم من المحتاجين، حتى وإن لم يكونوا مسلمين(٢).

وقد وصف ابن بطوطة الأوقاف التي شاهدها بدمشق في القرن الثامن الهجري بقوله: (والأوقاف بدمشق لا تنحصر أنواعها ومصارفها، فمنها: أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن، وهن اللواتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن، ومنها: أوقاف لفكاك الأسارى، ومنها: أوقاف لأبناء السبيل، يعطون

---

(١) انظر: المصدر السابق: ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) انظر: من روائع حضارتنا. د. مصطفى السباعي: ١٢٧. الإيمان وأثره في الحياة. القرضاوي ٢٧٧ - ٢٩٧. الموسوعة العربية العالمية ٢٧: ١٢٨.

ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم، ومنها: أوقاف لتعديل الطرق ورصفها... ومنها: أوقاف لما سوى ذلك من أفعال الخير[١]. وقد شملت هذه الأوقاف جميع الأغراض الشريفة والمعاني الإنسانية النبيلة، من مثل وقف مؤنس الغرباء الذي ينفق على من يقومون بإنشاد القصائد الجميلة ليخفف بها على المرضى ويؤنس الغرباء. ووقف خداع المرضى، وهو من جملة أعمال المعالجة في المستشفيات، حيث يقف اثنان من الممرضين قريباً من المريض على صورة من لا يلقى له بالاً، ويقول أحدهما: ماذا قال الطبيب عن المريض؟ فيرد الآخر: إنه لا يوجد في علته ما يشغل البال، ولن يلبث بعد أيام أن ينهض من فراشه، ونحو ذلك، مما يخفف عن المريض، ويرفع من معنوياته[٢].

ومن مثل وقف الزبادي الذي ذكر ابن بطوطة - أيضاً - أنه شاهده بدمشق، إذ رأى غلاماً قد سقط منه الوعاء فانكسر، فأخذ يبكي، فأخذه الناس إلى مشرف وقف الزبادي ليعطيه بدلاً منه، فلا يعاقبه سيده[٣]. ومن أمثالها: قصر الفقراء الذي عمره نور الدين محمود بن زنكي بدمشق، لما رأى في ذلك المتنزه قصور الأغنياء عز عليه أن لا يستمتع الفقراء مثلهم، فبنى لهم هذا القصر، وأوقف عليه قرية داريا، أعظم قرى الغوطة وأغناها، وما برحت أوقاف هذه القرية توزع على الفقراء حتى القرن الحادي عشر الهجري[٤].

ومنه أيضاً: وقف مخصص لتزويج العزاب الذين لا يقدرون على دفع المهور ونحوها من تكاليف الزواج، ووقف الأعراس لإعارة الحلي والزينة للفقراء أيام الأعراس[٥].

كما كانت هنالك أوقاف مخصصة للأطفال الذين يعجز أهلهم عن الإنفاق

---

(١) رحلة ابن بطوطة: ١: ١٠٤.
(٢) انظر: من روائع حضارتنا: ١٢٧ الإيمان وأثره في الحياة: ٢٧٧.
(٣) رحلة ابن بطوطة: ١: ١٠٤.
(٤) انظر: خطط الشام: كرد علي ٦: ٩٧.
(٥) انظر: الإيمان والحياة: ٢٧٨. أخلاقنا الاجتماعية للسباعي: ٢٣.

عليهم وتزويدهم بالحليب اللازم لغذائهم، فقد كان من مبرات صلاح الدين الأيوبي – رحمه الله – أنه جعل في أحد أبواب القلعة بدمشق ميزابا يسيل منه الحليب، وآخر يسيل منه الماء المحلى بالسكر تأتي إليه الأمهات يومين في الأسبوع، يأخذن لأطفالهن ما يحتاجونه من الحليب والسكر(١).

وكيف لا تشمل هذه الأوقاف أصحاب الحاجات على اختلاف أصنافهم ما دامت قد شملت الحيوان حيث عرف تاريخ الوقف الإسلامي أوقافاً على الحيوانات العاجزة، لئلا يضطر أصحابها لقتلها تخلصاً من نفقتها، وأوقافاً على تمريض الخيل والقطط ونحوها من الحيوانات(٢).

ولاشك أن وراء هذه الأعمال العظيمة والإنجازات الرائعة عقيدة سامية، صنعت رجالاً عظاماً، وأنجبت عقولاً كبيرة، نظرت إلى هؤلاء المرضى والمعاقين وأصحاب الحاجات هذه النظرة التي تمتاز بالموضوعية والإنسانية.

تنويه باحثي الإسلام بنواب ومشاهير المعاقين:

لم يغفل الباحثون والعلماء المسلمون التنويه والإشادة بالنوابغ والمشاهير من المعاقين بالترجمة لهم وذكر فضلهم، ليس ضمن المؤلفات التي عنيت بالأعلام – بصورة عامة – فحسب، وإنما أفردوا لهم كتباً خاصة، أو أبواباً معينة في كتب أخرى، فصلت سيرهم وتحدثت عن أخبارهم العلمية أو الأدبية إلى غير ذلك من طريف أمورهم. وفي ذلك ما يدل على مدى ما كانوا يحظون به من التقدير والحفاوة، وما كان لهم من المشاركة الفعالة في بناء الحضارة الإسلامية.

ومن هذه المؤلفات: كتاب للهيثم بن عدي المتوفى (٢٠٧هـ)، أورد فيه جملة من مشاهير العميان والعوران والحولان والزرقان والفقم(٣).

---

(١) من روائع حضارتنا: ١٢٧. الموسوعة العربية العالمية: ٢٧: ١٢٨ – ١٢٩.

(٢) انظر: روائع حضارتنا: ١٢٧. أخلاقنا الاجتماعية: ٢٣.

(٣) طبع في ذيل كتاب الجاحظ (البرصان والعرجان والعميان والحولان) أو لعل المطبوع قطعة منه.

ومنها: جزء جمعه أبو بكر أحمد بن علي الخطيب المتوفى (٤٦٣هـ) عن العميان[١]. ومنها: لأبي عثمان الجاحظ المتوفى (٢٥٥هـ) كتاب (البرصان والعرجان والعميان والحولان).

ولصلاح الدين الصفدي المتوفى (٤٦٧هـ) كتابان هما: (نكت الهميان في نكت العميان)، و(الشعور بالعور).

كما عني بإبراز أخبارهم في أبواب خاصة: ابن قتيبة المتوفى (٢١٣هـ) في كتابه (المعارف)، ومحمد بن حبيب البغدادي المتوفى (٢٤٥هـ) في كتابه (المحبر)، وعبدالرحمن بن الجوزي المتوفى (٥٩٧هـ) في كتابه (تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير).

وقد أشار الجاحظ في مقدمة كتابه - الوارد قريباً - إلى غايته من الحديث عن هؤلاء المصابين، فبين أنه لا معنى لذكر ما في الناس من العاهات (إذا لم يكن إنما اجتلب ذكر العرج والعمى ليجعل سبباً إلى قصص في أولئك العرجان، وإلى فوائد في أخبار أولئك العميان، وإلى أن جماعة منهم كانوا يبلغون مع العرج ما لا يبلغه عامة الأصحاء، ومع العمى يدركون ما لا يدركه أكثر البصراء، ولما جاء أيضاً في ذلك من الأشعار الصحيحة ومن الأمثال المضروبة... وكيف جزع من جزع وصبر من صبر، وما رواه في ذلك من الأخبار النافعة، والأحاديث السائرة، واللفظ المؤنق، والمعنى المتخير، وكيف تبين ذلك النقص، وظهر ذلك الخلل على بعض ولم يتبين على بعض) إلى أن يقول: (وكيف كان دعاؤهم، وبأي ضرب من الكلام كان ابتلاهم، فإن ذلك عظة لمن سمعه، وأدب لمن وعاه، وصلاح لمن استعمله، فمن لم يذكر هذه العلل لذكر هذه الفوائد لم يكن ذكره لزمانة قوم أشراف بالمحمود، ولا تنويهه بأدواء مستورين بالمرضي)[٢].

---

(١) ذكره صلاح الدين الصفدي في «نكت الهميان»، ص ٥.
(٢) البرصان والعرجان والعميان والحولان: ٧ - ٨.

معاقون من صفوة القادة والعلماء والباحثين

أثمرت نظرة الإسلام إلى الإنسان عموماً، وموقفه من المعاق بصورة خاصة – وما انبثق عن هذا الموقف من، وجوه الرعاية والعناية – عن تفتق مواهب العديد من المعاقين، وعن شحذ هممهم وبعث طاقاتهم، وتوظيف قدراتهم، فغدوا من صفوة صُناع الحضارة، ومشاعل العلم والأدب، حينما غلبت عزائمهم إعاقاتهم، وعلت هممهم على آلامهم، فكانت إنجازاتهم أمثلة تثير الأمل والرجاء في نفوس أمثالهم من المعاقين، وتبعث على التحدي والإعجاب في نفوس غيرهم من الأصحاء.

وقد حفل تاريخ الإسلام بالكثير من هؤلاء: فممن أصيب العمى من الصحابة رضي الله عنهم – سوى ابن أم مكتوم الذي أشرنا له سابقاً–: البراء بن عازب[١]، وكعب بن مالك[٢]، وحسان بن ثابت[٣]، وعتبان بن مالك الأنصاري[٤]، ومالك بن ربيعة[٥]. وممن أصيب بالحول: سمرة بن جندب[٦]. وممن أصيب بالعرج – سوى عبدالله بن الجموح والنعمان بن قوقل الخزاعي وقد ذكرناهما سابقاً: معاذ بن جبل[٧]، والتابعي أبو بكر بن أبي موسى الأشعري[٨].

ومن السلف من أصابته الإعاقة وهو يجاهد في سبيل الله، فلقد فقد عدد من الصحابة والتابعين أعينهم أثناء الغزوات والفتوح، من مثل: أبي

---

(١) انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي: ٤٤٦.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢: ٥٢٤، تلقيح فهوم أهل الأثر: ٤٤٦. المعارف لابن قتيبة: ٥٨٨.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء: ٢: ٥١٥. المعارف: ٥٨٨. تلقيح فهوم أهل الأثر: ٤٤٦.

(٤) انظر: تلقيح فهوم أهل الأثر: ٤٤٦.

(٥) تلقيح فهوم أهل الأثر: ٤٤٦. سير أعلام النبلاء ٢: ٥٣٩.

(٦) انظر: المعارف: ٣٠٥، ٥٨٥.

(٧) المعارف: ٥٨٣، تلقيح فهوم أهل الأثر ٤٤٨.

(٨) انظر: المحبر لمحمد بن حبيب: ٣٠٣.

سفيان بن حرب الذي قلعت عينه الأولى في حصار الطائف[١]، والثانية في معركة اليرموك[٢]، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ومالك بن الحارث المعروف بالأشتر النخعي، وقيس بن المكشوح المرادي، والأشعث بن قيس، والمغيرة بن شعبة، كلهم في معركة اليرموك[٣]، وممن أصيبت عينه - أيضاً - يومها عمرو بن معدي يكرب الفارس صاحب المواقف المشهورة، وهو القائل:

أعاذل إنما أفنى شبابي اجابتي الصريخ إلى المنادى

وفيها:

ويبقى بعد حلم القوم حلمي ويفنى قبل زاد القوم زادي[٤]

ومن ذهبت أعينهم في الجهاد أيضاً: جرير بن عبدالله، أصيب بهمذان[٥]، وسعيد بن عثمان، وطلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعي الملقب بطلحة الطلحات، كلاهما بسمرقند[٦]، وقطن بن عبدالله بن الحصين، بأذربيجان[٧].

ومنهم أيضاً: من فقد أطرافه في المعارك: كعمير الليثي الذي قُطعت رجله يوم حنين[٨]، وعمار بن ياسر الذي قُطعت يده باليمامة[٩]، والصحابية المجاهدة نسيبة بنت كعب المازنية التي قطعت يدها في اليمامة[١٠] عدا

---

(١) المحبر: ٣٠٢. المعارف: ٥٨٦. سير أعلام النبلاء ٢: ١٠٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢: ١٠٦.

(٣) انظر: المحبر: ٣٠٣. المعارف: ٥٨٦ - ٥٨٧. كتاب الهيثم بن عدي: ٣٦٣. تلقيح فهوم أهل الأثر ٥٨٧. سير أعلام النبلاء ٢: ٢١، ٢٣٨.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣: ٢١.

(٥) المحبر: ٣٠٣.

(٦) المحبر: ٣٠٣. المعارف: ٥٨٦.

(٧) المحبر: ٣٠٢.

(٨) المعارف ٥٨٧.

(٩) المصدر السابق: ٥٨٤.

(١٠) سير أعلام النبلاء ٢: ٢٧٩ - ٢٨١.

بضعة عشر جرحاً أصابتها في هذه المعركة، ونحوها يوم أحد. وأصيبت زينب بنت رسول الله - ﷺ - بالزمانة حتى ماتت من جراء ما تعرضت له في هجرتها من أذى المشركين(١). وعرج عبدالرحمن بن عوف من جرح أصابه يوم أحد(٢). وأصيب التابعي الجليل مسروق بن الأجدع بالشلل من جرح أصابه بالقادسية(٣).

وممن أصيب أيضاً بالإعاقة من علماء وقادة ومشاهير المسلمين: الإمام التابعي محمد بن سيرين الذي كان أصم(٤)، والأحنف بن قيس مضرب المثل في العلم والسؤدد أصيب بالعور، وهو الذي قال: ذهبت عيني من أربعين سنة ما شكوتها إلى أحد»(٥) والخليفة الأموي هشام بن عبدالملك كان مصاباً بالحول(٦).

ومنهم: الإمام أبو بكر بن عبدالرحمن المتوفى (٩٤هـ) من سادات التابعين، وأحد فقهاء المدينة المنورة السبعة المشهود لهم بالفضل، والذين نشروا العلم بعد الصحابة وقد كان مكفوفاً(٧). ومثله: الإمام عبيدالله بن عبدالله بن عتبة المتوفى (٩٨هـ) وهو أحد السبعة المشار إليهم، وقد قال عنه عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله-: «لأن يكون لي مجلس من عبيد الله أحب إليّ من الدّنيا وما فيها»(٨).

ومنهم من مشاهير القراء: كإمام القراء وشيخ أهل زمانه أبي عمر

---

(١) المصدر السابق ٢: ٢٤٧.

(٢) المنتخب من كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علي المتقي الهندي ٥: ٧٧.

(٣) المعارف: ٥٧٨.

(٤) المصدر السابق: ٥٨٤.

(٥) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٦: ١٩٢.

(٦) فوات الوفيات للكتبي ٤: ٢٣٨.

(٧) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥: ٢٠٨.

(٨) المصدر السابق ٥: ٢، ٢٥٠. سير أعلام النبلاء ٤: ٤٧٤.

حفص بن عمر الدوري الضرير المتوفى (٢٤٠هـ)[١]، وقارئ أهل المدينة عيسى بن مينا بن وردان المعروف بقالون المتوفى (٢٢٠هـ)، وقالون لقب أطلقه عليه شيخه نافع بن عبدالرحمن المدني أحد مشاهير القراء السبع، وإنما أطلق عليه قالون لجودة قراءاته، فإنه كلمة رومية بمعنى جيد، وكان قالون أصم، شديد الصمم، لا يسمع البوق، وإنما يفهم الخطأ واللحن في القراءة من النظر إلى الشفة[٢]. ومنهم: عالم القراءات الحسين بن علي بن ثابت المقرئ، له منظومة في القراءات السبع، وكان حافظاً ذكياً وقد ولد أعمى، وتوفى عام (٣٧٨هـ)[٣].

ومن مشاهير من ابتلى بالإعاقة من المحدثين، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي الضرير، صاحب الجامع، أحد الكتب الستة توفي (٢٧٩هـ)[٤] ومنهم: الحافظ عبدالرزاق بن همام الصنعاني، أحد المشاهير، وصاحب المصنف توفي (٢١١هـ)[٥].

ومنهم: من هو من مشاهير الفقهاء، كالفقيه المالكي عبدالملك بن عبدالعزيز بن الماجشون الأعمى، صاحب الإمام مالك بن أنس، وقد توفي حوالي (٢١٢هـ)[٦]. ومنهم: الفقيه الشافعي محمد بن إبراهيم بدر الدين بن جماعة المتوفى (٧١١هـ)[٧].

ومنهم من مشاهير علماء اللغة: كعلي بن أحمد بن سعيد الضرير، المتوفى (٤٥٨هـ)، وقد كان أبوه أيضاً ضريراً[٨]. والفقيه النحوي صاحب

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ٢: ٢٥٥.
(٢) غاية النهاية ٣: ٢٥٥.
(٣) نكت الهميان: ١٤٥.
(٤) انظر: تذكرة الحافظ للذهبي ٣: ٦٢١.
(٥) انظر: تهذيب التهذيب ٦: ١٩٢.
(٦) انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ٢: ٦٥٨.
(٧) نكت الهيمان: ٢٣٥.
(٨) المصدر السابق: ١٧٨.

المصنفات الكثيرة عبدالله بن الحسين أبو البقاء العكبري، المتوفى (٦١٦هـ) وقد أُضِر في صباه على أثر إصابته بالجدري[(١)].

وكصاحب (لسان العرب) - أجمع معاجم العربية - محمد بن مكرم بن منظور المتوفى (٧١١هـ)[(٢)] والنحوي المفسر محمد بن يوسف أبو حيان الغرناطي، المتوفى (٧٤٥هـ)[(٣)].

ومنهم من مشاهير الشعراء: بشار بن برد، الذي كان أعمى، وأبو العلاء المعري الذي كان مضرب المثل في الذكاء والقدرة على الحفظ والملقب برهين المحبسين: العمى، والبيت.

وقد كان في هؤلاء الموهوبين: من اجتمعت عليه عاهات وليست عاهة واحدة، ولكن همته كانت فوقها جميعاً، وغطى عليها توقد عزيمته، فعرف الكثيرون فضلهم، وقلما عرفوا ما حل به من الإعاقات، وما لقوا من المرض والألم.

وممن اجتمعت عليه أكثر من إعاقة - فلم تحل بينهم وبين المجد والبروز والعطاء -: الإمام التابعي عطاء بن أبي رباح، الذي كان يُنادي في الحج في زمانه (لا يفتي الناس في الحج إلا عطاء بن أبي رباح) وقد كان - رحمه الله - أعور أشل أعرج، ثم عمي[(٤)].

ومنهم: الإمام التابعي مسروق بن الأجدع، كان أحدب أشل أعرج[(٥)]. ومنهم التابعي العالم والي المدنية: أبان بن عثمان بن عفان أصيب بالصمم والحول والبرص والفالج[(٦)] ومنهم رأس النحاة: أبو الأسود الدؤلي الذي أصيب بالعرج وبالفالج[(٧)].

---

(١) المصدر السابق: ١٧٨.

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ٥: ٣٢.

(٣) المصدر السابق ٥: ٧٦.

(٤) انظر: المعارف: تلقيح فهوم أهل الأثر ٤٤٦.

(٥) انظر المعارف: ٥٧٨. تلقيح فهوم أهل الأثر ٤٥٠.

(٦) انظر: المعارف: ٥٧٨. تلقيح فهوم أهل الأثر ٤٤٧ - ٤٤٨. سير أعلام النبلاء ٤: ٣٥٣.

(٧) انظر: المعارف: ٥٧٨. تلقيح فهوم أهل الأثر ٤٥٠. وفيات الأعيان لابن خلكان ٢: ٥٣٨.

ومن المعاقين من مشاهير أدباء هذا القرن: شيخ أدباء العربية في عصره مصطفى صادق الرافعي، الذي ابتلى بالصمم في مقتبل حياته، والدكتور طه حسين عميد الأدب العربي الذي أصيب بالعمى هو الآخر في باكورة حياته.

وغير من ذكرنا كثير من المبدعين من المعاقين ممن فاضت بهم بطون الكتب، أو ممن عرفهم الناس في هذا الزمان، وفيهم من ولدت الإعاقة معه، ومن تعرض لها لسبب أو آخر في مستهل حياته، ومن أعيق بعد ذلك، فلم تحل هذه الإعاقات بينهم وبين النبوغ والرفعة.

سبق علمي إلى اكتشاف طريقة بريل لدى أحد معاقي المسلمين

ومن نوابغ المعاقين: الشيخ علي بن أحمد بن يوسف الحنبلي الآمدي، المتوفى (٧١٢هـ)، والذي عرف مع العلم، بالورع والنزاهة والمروأة بتوقد الذكاء وحدة الذهن، وكان يحسن الحديث بعدة ألسن، منها: التركية، والفارسية، والرومية، والعربية، وذلك بالرغم من ملازمة العمى له منذ أوائل عمره، وقد أشار العلامة صلاح الدين الصفدي في ترجمته للمذكور إلى استخدامه لطريقة معينة في التعرف على الكتب، تقوم على المبدأ الذي عرف فيما بعد باسم طريقة بريل «Braille» لتعليم العميان: فقال – أي الصدفي – (وكان يتجر في الكتب، وله كتب كثيرة جداً، وكان إذا طُلب منه كتاب نهض إلى خزانة كتبه واستخرجه من بينها، كأنه قد وضعه لساعته، وإن كان الكتاب عدة مجلدات وطُلب منه الأول مثلاً أو الثاني أو الثالث أو غير ذلك أخرجه بعينه وأتى به، وكان يمس الكتاب أولاً ثم يقول: يشتمل هذا الكتاب على كذا وكذا كراسة، فيكون الأمر كما قال. وإذا أَمَرَّ يده على الصفحة قال: عدد أسطر هذه الصحيفة كذا وكذا سطراً.

وفيها بالقلم الغليظ، كتبت فيها بالحمرة، وإن اتفق أنها كتبت بخطين أو ثلاثة قال: اختلف الخط من هنا إلى هنا، من غير إخلال. وأنه كان إذا اشترى كتاباً بشيء معلوم أخذ قطعة ورق خفيفة وفتل منها فتيلة لطيفة وصنعها

حرفاً أو أكثر من حروف الهجاء لعدد ثمن الكتاب بحساب الجُمَّل، ثم يلصق ذلك على طرف جلد الكتاب من داخل، ويلصق فوقه ورقة بقدره لتتأبد. فإذا شذ عن ذهنه كمية ثمن كتاب ما من كتبه مس الموضع الذي علَّمه في ذلك الكتاب بيده، فيعرف ثمنه من تثبيت العدد الملصق فيه)[1].

(١) نكت الهميان في نكت العميان: ٢٠٧ - ٢٠٨.

الخاتمة:

يمكن إجمال أبرز نتائج البحث فيما يلي:

١ - تمثل نظرة الإسلام للإعاقة وموقفه من المعاق مصدراً ثريًّاً ونبعاً دفَّاقاً لتقبل المعاق لواقعه والتعايش معه بثقة وراحة بال، وللسعي لاستغلال ما لديه من الطاقات والإمكانات، كما تمثل هذه النظرة عنصر وقايةوعلاج من الآثار السلبية التي يمكن أن تتركها النظرة الخاطئة في المجتمع لهذه الفئة من أفراده. هذا بالإضافة لما يساهم به الالتزام بتعاليم الإسلام من الوقاية من الإصابة بالأسباب المؤدية إلى الإعاقة أصلاً.

وعليه فمن الواجب على المعنيين برعاية المعاقين ورجال التربية والإصلاح سبر أغوار هذه النظرة والوصول إلى ما فيها من مناجم البناء والإصلاح، والتأهيل النفسي، وإشاعة هذه المعاني لدى الأفراد والأسر بعامة، والعاملين في مؤسسات رعاية المعاقين بخاصة.

٢ - وبهذا بات من الضروري أن تتصدى طائفة من علماء الدين ودعاة الإسلام لتعلم لغة الصم والبكم، ليتسنى لهم الوصول إلى هذه الطائفة، لتعزيز معاني الإسلام في نفوسهم، وتثقيفهم بفكرة الإسلام عن الإنسان والحياة، وبنظرة الإسلام للإعاقة، مما ينتظر أن يترك في نفوسهم وفي واقعهم العديد من الآثار الإيجابية.

٣ - بالنظر لما للأسرة عموماً، والأسرة المسلمة على وجه الخصوص من الخصوصية بسبب سهولة التقبل وفطرية مشاعر الود والحنان - فإن من الأجدى والأفضل للمعاق اعتبار هذه الأسرة هي الخيار الأول للعناية به بحيث يتم تعليمه وتأهيله من غير عزل إقامته عن أسرته، وذلك كلما كانت حالته وظروفه تسمح بذلك، ولو مع تقديم العون والمشورة والتدريب للأسرة.

٤ - على أنه ينبغي للأسرة الوعي بالفرق بين إشاعة معاني الود والأمل في نفس الطفل المعاق - بالعطف عليه وإحسان معاملته - وبين ممارسة

التدليل الزائد له، مما يفسد شخصيته، ولا يساعد على تنمية قدراته، وبناء شعور الإحساس بالمسؤولية لديه، فيضرّ به.

٥ - لما كانت مسؤولية رعاية المعاقين في الإسلام تشمل المجتمع والدولة فمن الواجب أن يعتبر تطوير مؤسسات الإعاقة - فضلاً عن إنشائها - وتوفير كلّ ما يساعد على تأمين حاجات وتأهيل وتدريب وعلاج المعاقين من الوسائل والبرامج والأجهزة والإمكانات جزءاً مهماً من خطط التنمية الوطنية.

٦ - إن من أهم ما يساهم في استيعاب مشكلة المعاقين في المجتمع أن تتظافر الجهود، وتتعاون كل الجهات ذات العلاقة بهم - من الأسرة، والمدرسة، أو مركز الرعاية، والجمعيات الخيرية، ورجال الدعوة والإصلاح، ورجال الإعلام والتوجيه، والجهات الرسمية والشعبية - بحيث تتساند هذه الجهود وتتكامل لما يحقق الفائدة على أفضل الوجوه.

٧ - توعية المجتمع بعامة والبيئة المحيطة بالمعاق بخاصة بأهمية وخطورة الآثار المترتبة على نظرتهم إلى المعاق وطريقة تعاملهم معه، وذلك في المساعدة على تحسين حالته وتخفيف مشكلته أو في تفاقمها واستفحال أضرارها، وأن أثر هذه النظرة ربما كان أخطر على المعاق من الإعاقة ذاتها.

٨ - لعل من المفيد للمعاقين إفساح المجال لهم، لتقبلهم ضمن مؤسسات التعليم والتأهيل العامة، كلما كان ذلك ممكناً، فإنه أجدى من التحاقهم بالمؤسسات الخاصة بالمعاقين، إذ فيه ما يعودهم على التأقلم مع المجتمع، ويشعره بالثقة بالنفس، وبالتقبل العام لهم، وذلك مع توفير ما يحتاجون له في هذه المؤسسات من الأجهزة اللازمة، والمواقف الخاصة، والسلالم المناسبة لحالاتهم، ونحو ذلك.

٩ - أهمية الوعي بأن رعاية المعاقين لا تقتصر على تأمين الاحتياجات المادية، بل تشمل تأهيلهم نفسياً، بما يعزز ثقتهم بأنفسهم، ويملؤهم بالأمل. كما يتضمن السعي إلى اكتشاف ما لديهم من المواهب والطاقات

وجوانب القوة والاستعداد في شخصياتهم، ومن ثم العمل على تنميتها وتدريبها وإفساح المجال أمامها لتحقيق ذاتها بالبروز والإنجاز، وتتضمن أيضاً تشجيع العمل والابتكار وممارسة حرفة أو عمل أو تخصص معين، يتناسب مع وضعه وقدرته كلما كان ذلك ممكناً.

١٠ - الدعوة إلى إحياء وتشجيع سنة الوقف الخيري على أعمال البر والإحسان ومساعدة الضعفاء والمحتاجين. وذلك لما ارتبط بهذه السُنَّة من الأغراض الشريفة والمعاني الإنساني، ولما كان لها من دور في صناعة روائع الحضارة الإنسانية، ومنها العناية بالمعاقين والضعفاء والعجزة.

١١ - ضرورة توعية المعاقين بنظرة الإسلام للإعاقة والمعاقين، وأن هذه النظرة لم تكن مجرد طروحات نظرية وتجليات فكرية، بل تمثلت في واقع تحقق في الحضارة الإسلامية، وذلك مع عرض نماذج من المبدعين والموهوبين لم تعقهم إعاقاتهم عن العطاء والإنجاز، مما يثير همم المعاقين، ويحفز عزائمهم، ويجعلهم أكثر اقتناعاً بضرورة المثابرة والعطاء.

المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم.

٢ – أخلاقنا الاجتماعية: مصطفى السباعي. دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٧٦.

٣ – الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤ – الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. مصر: مطبعة مصطفى محمد، ١٩٣٩.

٥ – أصول الدعوة: عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط٣ عام ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٦ – الإعاقة ورعاية المعاقين في أقطار الخليج العربية. نشر المنامة مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية ١٩٩١.

٧ – الإعاقة: اقتراحات وتوصيات. عبدالعزيز الدخيل وآخرون. مطابع جامعة الملك فهد للبترول والمعادن. (د.ت).

٨ – الإيمان والحياة: يوسف القرضاوي. القاهرة: مكتبة وهبة ١٣٩٧ – ١٩٧٧.

٩ – البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير، بيروت، مكتبة المعارف ١٩٦٦.

١٠ – البرصان والعرجان والعميان والحولان: عمرو بن بحر الجاحظ. القاهرة، دار الاعتصام ١٩٧٢.

١١ – تذكرة الحفاظ. محمد أحمد الذهبي. بيروت. دار إحياء التراث العربي ١٩٥٨.

١٢ – تلقيح مفهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير. عبدالرحمن بن الجوزي. القاهرة: مكتبة الآداب ١٩٧٥.

١٣ – تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر. حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف ١٣٢٥هـ.

١٤ – جامع البيان في تأويل أي القرآن: محمد بن جرير الطبري، مصر: مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤.

١٥ – الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي. القاهرة: دار الكتاب العربي ١٩٦٧.

١٦ – حقوق الطفل في الأعوام الأولى: زكية عزيز. القاهرة: مكتبة النهضة ١٩٦٣.

١٧ – الخراج: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، القاهرة ط٥ المطبعة السلفية ١٣٩٦هـ.

١٨ – خطط الشام: محمد كرد علي. بيروت: دار العلم للملايين ١٩٦٩.

١٩ – خطط المقريزي: أحمد بن علي المقريزي. بيروت: دار صادر (د.ت).

٢٠ – الخمر بين الطب والفقه: محمد علي البار. جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع ١٣٩٨هـ.

٢١ – الدخينة في نظر طبيب: داينال. هـ. كرس: الطائف: مكتبة المعارف.

٢٢ – دراسة حول تربية المعاقين في البلاد العربية: محمد الراجحي وعمار عبدالرزاق. تونس: نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٨٢.

٢٣ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: محمد بن علي بن حجر. القاهرة، دار الكتب الحديثة ١٩٦٦.

٢٤ – رحلة ابن بطوطة: محمد بن أحمد بن بطوطة. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ١٩٦٤.

٢٥ – رياض الصالحين: يحيى بن شرف النووي: تحقيق عبدالعزيز رباح وأحمد الدقاق. دمشق: دار المأمون. ط٣ عام ١٤٠٠هـ.

٢٦ – سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. مصر: عيسى البابي الحلبي ١٣٩٥هـ.

٢٧ – سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني. إعداد وتعليق عزت عبدالله دعيس. ط١ عام ١٣٨٨هـ.

٢٨ – سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي. مراجعة محمد عبدالرحمن عثمان. ط٢ دار الفكر ١٣٩٤ – ١٩٧٤.

٢٩ – سنن النسائي بشرح السيوطي. صححت من بعض العلماء. القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر. (د.ت).

٣٠ – سير أعلام النبلاء. محمد بن أحمد الذهبي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١.

٣١ – السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق مصطفى السقا وآخرون. مصر: مطبعة البابي الحلبي ط٢ عام ١٣٧٥ – ١٩٥٥.

٣٢ – صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري: محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي. ط١ المطبعة السلفية.

٣٣ – صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج: تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء التراث العربي ط١ عام ١٣٧٥.

٣٤ – الطبقات الكبرى: محمد بن سعد. بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٠م.

٣٥ – الطفولة الجانحة: جان شازال. ترجمة: أنطوان عبده. بيروت ١٩٧٥.

٣٦ – علم نفس الشواذ: والترج كوفيل وآخرون. ترجمة: محمود الزيادي والسيد محمد خيري. القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٦٨.

٣٧ – غاية النهاية: محمد بن محمد بن الجزري. بيروت: دار الكتب العربية ١٩٨٠.

٣٨ – فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١م.

٣٩ – كتاب الهيثم بن عدي. مطبوع بذيل كتاب (البرصان والعرجان والعميان والحولان) المار سابقاً. دار الاعتصام ١٩٧٢.

٤٠ – لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور. دار صادر. بيروت ١٣٨٨هـ.

٤١ – مجلة الفيصل: تصدر عن ار الفيصل الثقافية – الرياض. عدد أكتوبر ١٩٨١.

٤٢ – مجلة المجتمع: تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي – الكويت. عدد رقم ٤٠٦ شعبان ١٩٧٨.

٤٣ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد أبو بكر الهيثمي. بيروت. ط٢، دار الكتاب ١٩٦٧.

٤٤ – المحبر: محمد بن حبيب. بيروت. المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر. (د.ت).

٤٥ – المحلي: محمد بن علي بن حزم، القاهرة: مكتبة الجمهورية المصرية ١٩٦٧.

٤٦ – مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن القيم. تحقيق محمد الفقي. بيروت. دار الكتاب العربي ١٩٧٣.

٤٧ – مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين: صلاح الدين المنجد. بيروت دار الكتاب الجديد ١٩٦٧.

٤٨ – المستدرك على الصحيحين في الحديث: محم بن عبدالله الحاكم، مكتبة ومطابع النهضة الحديثة. الرياض (د.ت).

٤٩ – المسكرات بين الشرائع السماوية والقوانين الجنائية: إسماعيل الخطيب، مطبوعات دار الشعب ١٩٧٦.

٥٠ – المسند: الإمام أحمد بن حنبل. بيروت: المكتب الإسلامي: دار صادر للطباعة والنشر. (د.ت).

٥١ – المعارف: عبدالله بن قتيبة الدينوري. القاهرة دار المعارف ١٩٦٩.

٥٢ – المنتخب من كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علي بن حسام الهندي. ط٢ بيروت. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بهامش المسند، ١٩٧٨.

٥٣ – من روائع حضارتنا: مصطفى السباعي، الكويت، الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ١٩٨٠.

٥٤ – الموافقات في أصول الشريعة: إبراهيم بن موسى الشاطبي. ضبطه: محمد علي دراز. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

٥٥ – مسؤولية الأب المسلم عن تربية الولد في مرحلة الطفولة: عدنان حسن باحارث. الخبر. دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.

٥٦ – الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. الرياض ١٩٩٦.

٥٧ – ميزان الاعتدال في نقد الرجال: محمد بن أحمد الذهبي. القاهرة. عيسى البابي الحلبي ١٩٦٣.

٥٨ – نكت الهيمان في نكت العميان: خليل بن ايبك الصفدي. مصر مطبعة الجمالية ١٩١١.

٥٩ – وفيات الأعيان وأنباء الزمان: أحمد بن محمد بن خلكان، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨.

The Care Offered by Islam to the Handicapped.

Dr. Jameel 'Ubaid Abd Al-Muhsin Al- Qarar'ah
Ass. Professor at the Department of Islamic and Arabic Studies.
King Fahd University of Petrol and Minerals

The objective of this study is to draw attention to the superiority of the Islamic religion in looking and dealing with handicapped people, to fathom that concept and to utilize it for the benefit of this group of people and of their community. This study aspires to achieve this through clarifying the different aspects of care that Islamic religion gives to this group and the role they can play in their society. The study attempted to do this through clarifying the following:

1. The positive concept of Islam about the handicapped and its positive role in their life.
2. The role that Islam expects from the family well as the community in bringing up children, protecting them from all causes of handicapping and treating them in a proper and nice manner.
3. Presenting the Islamic principles that lead to drying the sources of handicapping.
4. Indicating the licenses and facilities offered by Islam to the handicapped in performing their Islamic duties.

This study also focuses on the practical aspect of the Islamic care program for the handicapped as manifested in the Islamic civilization represented by the its various handicapped institutions and organizations that appeared very early on a limited scale, then became a public concern and a permanent basic feature in Muslim life which resulted in graduating numerous gifted handicapped personalities who contributed significantly in building the Islamic civilization.